كابوس الملك

مسرحية

د. حامد العطية

كابوس الملك

مسرحية

د. حامد العطيَّـــة

2015م

شخوص المسرحية

- أنمار المعمار
- نزار صديق أنمار ومساعده
- الملك
- الوزير
- رئيس الكهنة
- الحداد
- رئيس الحرس
- قائد الجيش
- الملكة
- آخرون

الفصـــــــل الأول
المشهد الأول

(يدخل الملك إلى قاعة العرش في موكب احتفالي، تتبعه الملكـــة والوزير وقائد الجيش ورئيس الحرس والحاشية، وتُسمع أصوات قرع طبول ونفخ مزامير. يصعد الملك إلى كرسي العرش وتقف الملكة بجواره)

الملك: الآن انطفأت نار الحرب، وعادت السيوف الى أغمادها مرغمـــة والرماح إلى مكابدة الصدأ، والمقاتلون إلى جر محاريثهم.
الوزير: لا يقدَّر نعمة السَّلام حق قدِّرَها غير المحاربون يا مولاي.
الملك: (ساخراً)السَّلام! السَّلام! ما السَّلام إلا استراحة بين حربين، هدنة مؤقتة يلتقط فيها المحاربون أنفاسهم، ويعد الملوك جيوشهم لجولة أخرى.
قائد الجيش: صدقت يا مولاي. السّلام هو الفراغ والسَّأم. فماذا يفعل محارب مثلي في زمن السَّلم؟ إن أنفي يفتقد غبار المعارك، وصنان المحاربين أفضل عندي من عطر هندي يتفوع من جِيد حسناء.
الملكة: ومن سيقوم مقامكم في مخادع نسائكم؟ أتريدون أن يرثكم أولاد عبيدكم؟
الملك: يا وزير! أمرت بأن تقام الأفراح لمدة أسبوع، تنحر فيه الذبائح ويطعم الناس وتوقد المشاعل في الطرق وتدق النواقيس وتتلى باسمي صلوات الشكر في المعابد. (ثم يضيف) من ينتظر الدخول علينا؟
الوزير: رعاياك يا مولاي، حكام المدن ورؤساء القبائل والكهنة.
الملك: ليدخلوا معززين مكرمين ماعدا الرؤساء الذين خذلوني ولم يحاربوا معي.
الوزير: هم رعاياك أيضا يا مولاي.
الملك: لا تدافع عنهم يا وزير ولا تأذن لهم بالدخول، فلا أضمن أن يخرجوا ورؤوسهم فوق أعناقهم.
(يدخل جمع من أشراف المملكة)
الأول: جئنا نهنئ مولانا العظيم بنصره المبين على أعداءه.
الثاني: اليوم نفرح بالنصر ويغتم أعداؤنا بهزيمتهم النكراء.
الثالث: ألسنة الناس تلهج بمديحك يا مولاي.
الملك: أهْلاً بالرعية المخلصة، وبهمتكم تحقق الانتصار.
الأول: كلنا فداء لك ولمجد مملكتك يا مولاي.
الملك: يا وزير أجزل عطاء المُخلِصين من رعيتي! أما الذين خذلوني فلن أنسَاهم اليوم أيضاً، ولن أعفو عنهم، وبدلا ً من قطع رؤوسهم أمرت بقصّ نخيلهم وهدم بيوتهم وخوابي تمورهم وأن تترك عبرة لمن اعتبر فإنّ من يعصي مشيئة الملك لا يستحق أن يأكل من عطاء أرضه.
الوزير: مولاي أتوسل اليك أن ترأف بهم.
الملك: أسكت وإلا ألحقتك بهم.
قائد الجيش: ليمُنَ علي مولاي بإنزال عقوبته على هؤلاء الجبناء المتخاذلين ولو أمرتني بقطع رقابهم لما تأخرت.
رئيس الحرس: (محتجاً) مولاي! إنَّ تأديب العصاة من عملي، لو أمرت فسأدفنهم أحياء هم وعيالهم.
الملك: إذن فليقطع السيفان وليحصد المنجلان وليعلم العصاة الأشقياء أنَّ جنودي المُخلِصين يتبارون في إيقاع العقوبة بهم، وأن مَن يهين الملوك لا يستحق العيش في ظِلّهم الوارف.
الوزير: (متوسلاً) مولاي كان والدكم الملك المُخلّد يقول قطع الأعناق ولا قطع الأرزاق.
الملك: إنه ليسعدني أن أراهم يسحّون الدمع على نخيلهم غدا ً، لا ظل يستظلون به من حرِّ تموز ولا تمرة يسدون بها رمق أولادهم. وستمتلأ كوانينهم بالكَرَب والسعف اليابس، أما رعايانا المخلصون فلهم اليوم الجائزة وأية جائزة. رضانا أولاً ومن فوقه عطاؤنا.

الأول: المجد لمولانا الملك المنتصر.
الثاني: العزة لمولانا الملك الذي دحر الأعداء وغزاهم في عقر ديارهم.
الملك: صدقت، ليعلم الناس بأني لو لم أبتدأ أعداءنا بالقتال لكان ملك الأعداء جالساً الآن على هذا الكرسي يرفع نعليه فوق جباهكم ويعربد جنوده في شوارعكم وحاناتكم، ينكحون نساءكم ويقتلون أولادكم.
الثالث: لولا حكمتك وشجاعتك يا مولاي لكنّا من الهالكين.

(ينهض الملك ويخرج من القاعة تتبعه الملكة والقادة ويتخلف الوزير والأشراف والرؤساء. يشير الوزير الى أحد الحاضرين فيخرج ثم يعود وهو يحمل صندوقاً ثقيلاً ويضعه أمام الوزير. يفتح الوزير الصندوق ويخرج منه صُرَراً يوزعها على الأشراف والرؤساء. وبعد أن يخرج الجميع يبقى الوزير لوحده)

الوزير: لقد فرغت خزينة الملك من النقود كما خوت بيوت المملكة من رجالها وشبابها الذين تركناهم صرعى في ساحة المعركة. سيذرف الناس دمعة على ذويهم المقتولين ودمعة على أرزاقهم التي سنأخذها منهم لملأ خزينة الملك.

(يخرج وتسدل الستارة)

الفصل الاول
المشهد الثاني

(قاعة العرش: يدخل الملك في ثياب النوم. يمشي بخطوات سريعة إلى عرشه، يجلس عليه مقرفصاً، ويبدو خائفاً وقلقاً)

الملك: (صارخاً) أيها الحارس!

الحارس: (داخلاً) مولاي.

الملك: اذهب إلى بيت رئيس الكهنة! لا تمش ولا تركض بل اقفز وطر واحضره أمامي بملابس النوم أو عرياناً. (صارخاً) أريد رؤيته في الحال.

(يخرج الحارس مهرولاً)

الملك: أنا الملك، يخافني رعيتي ويخشاني أعدائي. أفيق كل ليلة خائفاً مرتجفاً من كابوس يطرد النوم من عيني ويفسد علي نهاري وحياتي.

(يخفت صوته الى همهمة غير مسموعة حتى يدخل رئيس الكهنة ووراءه حارسان، يصرفهما الملك بإشارة من يده ويقوم من على عرشه ويقترب من رئيس الكهنة ويمسك بتلابيبه)

الملك: أيها الكاهن عيناي لم تعرفا النوم الهانئ منذ شهور. فصدت جسمي مرات عديدة، وسقيتني كل ما في خزائنك من عقاقير نتنة ومُرّة، ولكن دون فائدة.

رئيس الكهنة: (خائفاً) لتحرس الآلهة مولاي المعظم. سأقيم صلاة خاصة وأقدم الأضاحي باسمك... سأذبح ثوراً أسوداً لتهدئة قوى العالم السفلي واسترضاء شيطان الأرق والكوابيس.

الملك: (هائجاً) لتقم صلاتك في كل يوم وكل ساعة، ولتضحي بكل دابة تمشي على أربع في مملكتي، وإذا اشتهت آلهتك النهمة دماءً بشرية فلا تبخل عليها فإن في سجون رئيس حراسنا ما يشبع قطعاناً من الأسود.

رئيس الكهنة: كل شيء يهون في سبيل راحتك وسعادتك.

الملك: من سلَّط على هذا الكابوس؟ هل هو من عمل ساحر؟

رئيس الكهنة: لو كان سحراً لانفكت عقدته بالصلوات والأضاحي... أهو نفس الكابوس القديم يا مولاي؟

الملك: نفس الكابوس، لا تمر ليلة من دون أن يخرج من العالم السفليِّ ليعكر صفو نومي. لو أستمر ذلك فسأفقد صوابي وينزل غضبي عليكم جميعاً وأنت أولهم.

رئيس الكهنة: نحن عبيدك يا مولاي فاصنع بنا ما تشاء.

الملك: الذئاب يا كاهن! عيونها جمرات مشعة في الظلام تضيء شوارع المدينة التي خلت من أهلها وكأن طاعوناً أصابها. الذئاب تطاردني لتفترسني (يتوقف برهة لالتقط أنفاسه) رأيتها تنسل من البيوت. ما معنى هذا أيها الكاهن؟ كنت أرى الذئاب قادمة من خارج المدينة، وفسرت أنت ذلك بأنهم أعداء غرباء يتربصون بعرشي.

رئيس الكهنة: مولاي، كنت ترى في منامك ذئاباً تدخل المدينة من بواباتها وتفسير ذلك أن الذئاب هم أعداؤك القادمون من بلاد أخرى.

الملك: صدَّقتك فسرت إلى أعدائنا في الشرق، وجدتهم منشغلين بزراعة حقولهم ورعي مواشيهم غير متأهبين لقتال. أخذتهم على حين غِرَّةٍ، فلم يجدوا غير المناجل والسكاكين والسيوف الصدئة ليدافعوا بها عن أنفسهم فكانوا أهدافاً سهلة. أنت وعدتني بأنَّ الكابوس سيتوقف بعد دحر الأعداء، وها أنا قد هزمتهم وأحرقت بيوتهم وتركت نساءهم أرامل وثكالى فهل خدعتني يا كاهن؟

رئيس الكهنة: مولاي، لقد استخرت كل الأرباب...
الملك: (مقاطعاً) خلصني من هذا الكابوس وإلا جئت بمن هو أقدَر منك (يحتضن رأسه بيديه برهة ثم يرفعهما) ما رأيك بكاهنة تحل محلك؟ أو أتنصر وأحول معابدك إلى كنائس وأديرة؟
رئيس الكهنة: مولاي أمهلني ساعة واحدة، سأقرأ فيها الفأل واستحضر الأرواح وحتماً سأهتدي إلى ما يبدد هذا الكابوس الذي أقضَّ مضجعك.
الملك (بلهجة تهديد): ساعة واحدة لا غير.

(يخرج رئيس الكهنة مسرعاً، يسند الملك رأسه على ظهر العرش ويغمض عيناه. وبعد قليل يبدأ بالتململ وإصدار أصوات ذعر خافتة وكأنه يرى كابوساً)
[تنزل شاشة خلف كرسي العرش ويبدأ عرض مقطع مصور يظهر فيه شبح رجل تطارده مجموعة من الذئاب. تدريجياً يتضح بأن الرجل المذعور هو الملك مرتدياً عرشه. يرمي الملك بعرشه باتجاه الذئاب فتتصارع حوله لثواني ثم تستأنف المطاردة.]

الفصل الاول
المشهد الثالث

(غرفة في بيت الوزير يتصدرها كرسي كبير. يدخل الوزير مبربراً في انزعاج)

الوزير: وكأن الملك ونزواته لا تكفيني والآن جاء دور رئيس الكهنة ليقلق نومي (يرفع صوته) أيها الحارس أين هو؟ ليدخل.

رئيس الكهنة: (يدخل محنياً رأسه ورافعاً يديه بالتحية) المعذرة يا سيدي الوزير على هذه الزيارة المفاجئة في هذه الساعة المتأخرة من الليل لكن الأمر خطير ولن أقدم على شيء دون استئذانك.

الوزير: (في عصبية) أقلقت راحتي والآن شغلت بالي بكلامك، فماذا تنتظر؟ أفصح!

رئيس الكهنة: كنت قبل قليل في حضرة مولانا الملك. أرسل حراسه إلى بيتي في منتصف الليل وأحضروني أمامه ليخبرني بأن الكابوس قد عاوده من جديد.

الوزير: أي كابوس؟

رئيس الكهنة: الذي يرى فيه الذئاب تهاجمه.

الوزير: تذكرت. الكابوس الذي كان سبباً في شن حرب ضروس دامت أشهراً وخسرنا فيها خيرة رجالنا وشبابنا وأشعلت نار العداوة بيننا وبين جيراننا في الشرق. وأنت المسؤول عن ذلك.

رئيس الكهنة: أنا لم أنصح الملك بشن الحرب على جيرانه. فسرت حلمه بكلام عام وهو الذي استنتج بأن الذئاب ستهاجمنا من الشرق.

الوزير: ما يخيفني أيها الكاهن بأن ملكنا المعظم متحمس للحروب والغزوات.

رئيس الكهنة: ماذا أقول له؟ لقد رأى الكابوس من جديد، وكان يعتقد بأنه سيتوقف بعد دحر أعدائه في الشرق. والآن يرى الذئاب تخرج من بيوت المدينة وليس من بواباتها.

الوزير: من المدينة! ... وهل لها وجوه؟

رئيس الكهنة: وجوه!

الوزير (محتداً): الذئاب. هل لها وجوه؟

رئيس الكهنة: لم يذكر ذلك.

الوزير: أخشى أيها الكاهن أن تصبح لذئاب الملك وجوه آدمية وما أدراك فقد يكون لأحدها وجه الوزير وآخر له وجه قائد الجيش وربما الكاهن.

رئيس الكهنة: أهذا ممكن؟

الوزير: وهل أفهم أنا بالعِرافة وتفسير الاحلام أفضل منك؟

رئيس الكهنة: المهم الآن ماذا سأقول للملك؟ وكيف سأفسر كابوسه. أنه ينتظر رجوعي بتفسير لكابوسه في أقل من ساعة.

الوزير: (ساخطاً) الا يكفينا الأعداء المرئيون حتى تظهر لنا كوابيس الملك.

رئيس الكهنة: هل أنصحه بشن حرب جديدة؟ ... هذه المرة على جيراننا في الشمال أو الجنوب... نختار أضعف جيراننا. ما رأيك لو قلت بأنهم جيراننا في الجنوب؟

الوزير: (غاضباً) هل جننت يا رجل؟ أتدرك ما تكلفه الحرب، إنها كارثة، لقد نفذت خزائن الملك بسبب الحرب على الشرقيين.

رئيس الكهنة: هل أقول له بأن أعداءك – من دون تسمية -أرسلوا جواسيسهم إلى مملكتنا وأنه لو قضى عليهم فسيتوقف كابوسه ويستتب له الحكم؟

الوزير: لقد بدأت أشُكّ في حكمتك. أتريد أن يسلّط الملك رئيس حرسه المهووس على رعيته الأبرياء؟ ألم يكفيهم ما تحملوه في الحرب؟ سيفرُّ الناس مذعورين إلى أقاصي المملكة وستبور التجارة ويهاجر الصناع المهرة إلى ممالك الغرب حيث يدفعون لهم أجوراً مضاعفة.

رئيس الكهنة: ما الحل أذن؟ لا أعداء من الخارج ولا في الداخل...
الوزير (مقاطعاً): فكر معي أيها الكاهن بحل معقول، لا يكلفنا ثمناً باهظاً.
رئيس الكهنة: لنذهب إلى المعبد لتقديم صلوات خاصة وإحراق البخور.
الوزير: لو اقتصدت في حرق البخور لوفرّت على خزينة الملك مبالغ طائلة.
رئيس الكهنة: طلبت منك تخصيص بعض الضِياع والبساتين للمعبد...
الوزير: (بنفاذ صبر) قلت لك سابقاً بأني لن أوافق فلا تتعب نفسك بتكرار الطلب. أموال المعبد تخصص له من خزائن الملك ولن يكون للمعبد موارد خاصة. اِترك هذا الموضوع! الآن علينا أيجاد مخرج من هذا المأزق الذي أوقعنا فيه كابوس الملك وتفسيراتك... دعني أفكر! الذئاب ترمز للأعداء، وحتى أنا الذي لا أفهم بتفسير الأحلام أعرف ذلك، ولكن الذئاب أصبحت الآن داخل المدينة. ما هو الحل الأقل كلفة؟ الدفاع بالطبع. الأعداء موجودون في عقل الملك فقط – أو بالتحديد في كوابيسه. أعداء وهميون ولو كانوا حقيقيين لكنت أول من يشير على الملك بالإعداد للحرب ولكنهم أعداء وهميون... فإذا لم يكن الهجوم ضرورياً ماذا نفعل يا رئيس الكهنة؟ نلجأ للدفاع بالطبع، نحصن أنفسنا وننتظر الأعداء.
رئيس الكهنة: كيف والأسوار مرفوعة ومن حولها خندق عميق؟
الوزير: (بانفعال) لا... الذئاب تطارد الملك، وحتى يشعر بالأمان يجب أن نبني له حصنه الخاص... هل فهمت؟ قصر مثل قلعة حصينة وحصن مثل قصر.
رئيس الكهنة: قصر آخر للملك؟
الوزير: نعم! قصر يليق بملك، قصر بديع، تصوره معي: يرتفع شامخاً فوق ضفة النهر. مبني من الحجر والمرمر والأخشاب النادرة، تزينه الأقواس والأعمدة والنقوش والرسوم الملونة.
رئيس الكهنة: ألن يكلف كثيراً؟
الوزير: مهما كلف فلن يربو على كلفة حرب قصيرة. أذا كانت كوابيس الملك الليلية تنتهي بالحرب فإن كوابيسي النهارية تبدأ بها.
رئيس الكهنة: ماذا سأقول للملك بالضبط؟
الوزير: قل له بأن الذئاب لن تصل اليه إذا كان في قصر جديد ومنيع.
رئيس الكهنة: عسى أن يقتنع بذلك.
الوزير: صلي بصدق وخشوع وأنت في طريقك إليه! أفعل ما تستطيع وأترك الباقي علي.
رئيس الكهنة: الآن عرفت لماذا يحتاج الملوك إلى وزراء حكماء مثلك.
الوزير: لإصلاح ما يفسده الكهنة.
رئيس الكهنة: سأذكرك في صلواتي دائماً.
الوزير: واذكرني أيضاً وأنت توقد مجامرك لأن ما تحرقه فيها من عود وعنبر وبخور يكلفني الكثير.
رئيس الكهنة: سأذهب إليه الآن.

(يهم رئيس الكهنة بالخروج من المدخل)

الوزير: اخرج من الباب الخلفي حتى لا يراك الحرس! أتريد أن يعرف الملك بأن وزيره هو الذي ألهمك تفسير حلمه وليس أصنامك الخرساء؟
رئيس الكهنة: لا تكفر يا سيدي الوزير لأن غضب الآلهة مستطير.
الوزير: لو خيرت بين غضب الآلهة وسخط الملك فأي الشرين أهون برأيك أيها الكاهن المبجل الذي أوشكت ساعته على الانقضاء؟
رئيس الكهنة: آلهتنا حليمة ويمكن درأ غضبها بالصلوات والنذور أما الملوك فأنت أدرى بهم.

(يخرج من الجهة الأخرى)

الوزير: سأكون في حضرة الملك عند الصباح الباكر، وسأشجعه على بناء قصر جديد دون أن يكتشف بأني

أنا صاحب الفكرة.

الفصل الاول
المشهد الرابع

(المكان قاعة العرش، الملك جالس على عرشه، يدخل الوزير ويسلّم)

الملك: هل نمت جيداً يا وزير؟

الوزير: نمت ساعتين أو ثلاث فالكهول مثلي يكتفون بالقليل يا مولاي.

الملك: وكيف حال الرعية؟

الوزير: بألف خير يا مولاي. يدعون لك بطول العمر.

الملك: ألا يتذمرون من كثرة الضرائب كما يقول رئيس الحرس؟

الوزير: أنها مجرد إشاعات لا تستحق اهتمام مولاي.

الملك: أتظن يا وزير بأنك تعرف عن رعيتي أكثر مما أعرف أنا؟

الوزير: وهل تعلو العين على الحاجب؟

الملك: أنت تحسدني لأنك كنت معلمي فأصبحت ملكك.

الوزير: تبلى عيناي بالعمى لو نظرت اليك يوما بالحسد.

الملك: هذا أنت، عقل ماكر ولسان ذرب وضمير غائب.

الوزير: (مبتسماً) وما حاجة الملوك للضمير؟

الملك: ليسمعوا الصوت الآخر عندما يملوا سماع الصدى الذي يخرج من أجواف وزرائهم.

الوزير: رأي مولاي صائب دائماً، وتنفيذه واجب كالصلاة في المعبد.

الملك: ما زلت تحاضرني! أنت لم تنس مهنتك الأصلية. أتظن نفسك عارفا بكل شيء حتى بعمل الملوك!

الوزير: مولاي...

الملك: (مقاطعاً) أقول لك يا وزير بأنك مهما أوتيت من علم وحويت في عقلك من حكمة اليونان والهند والفرس فلن تعدل خبرة يوم واحد على هذا الكرسي (يضرب براحته على مسند عرشه) أتظن بأن في كتبك جواب لكل سؤال (وكأنه يبصق الكلمة) كتبك! أتذكر يوم أتلفت كتابك النفيس؟

الوزير: (متظاهراً بمحاولة التذكر) لا أذكر ذلك يا مولاي.

الملك: لا تتصنع النسيان والخرف وإلا صدّقتك وعزلتك عن الوزارة. كان ذلك قبل سنين عديدة. اخترت كتابك النفيس الذي كنت تتأبطه أينما ذهبت وكأن فيه أسرار الخلق وأقدار البشر. غافلتك يوماً وأفرغت إبريق ماء عليه حتى ساح مداده. وجلست بانتظار عودتك. كنت أتحرق شوقاً لرؤية وجهك عندما تشاهد كتابك النادر والثمين وقد تشوهت كلماته المملوءة بالحكمة.

الوزير: كنت تحب مداعبتي يا مولاي.

الملك: مداعبة أيها المتملق! أتذكر وجهك جيداً يومها. وقفت مصعوقاً والشرر يتطاير من عينيك. كظمت غيظك وحملت كتابك وانصرفت. تمنيت لو رفعت يدك وضربتني أو اشتكيتني إلى والدي الملك ليعاقبني لكنك لم تفعل.

الوزير: ولماذا تمنيت ذلك يا مولاي؟

الملك: ألا تعرف أيها الوزير الحكيم؟ ليكون لدي سبب وجيه للانتقام منك عندما أرث العرش.

الوزير: رأسي رهن إشارة مولاي. أن شاء قطعته بنفسي.

الملك: دعك من هذه الترهات. قل لي أيها الوزير الحكيم ماذا يفعل الملك بعد أن فرغ من حرب الأعداء واستتب الأمن؟

الوزير: ما يفعله الملوك عادة. يحكمون بين الناس ويصلحون بلادهم بعمارة الطرق والجسور والسدود.

الملك: وهل تريد من الملك إضاعة وقته في فضِّ نزاعات القبائل وخلافات التجار في السوق؟ وماذا يفعل وزيري وقائد الجيش ورئيس الحرس والقضاة وحكام المدن؟
الوزير: نحن أدوات وضيعة في يدك يا مولاي تحركنا كما تشاء.
الملك: إن كلامك المكرّر والمُعاد هو بالتأكيد أحد أسباب الملل الذي أصابني.
الوزير: للملوك في بلاد الغرب مهرجون.
الملك: مهرجون! أهذا ما تفتقت به عبقريتك من أفكار؟ من قال لك إني بحاجة للتسلية؟ الحياة قصيرة وأنا أريد أن أترك أثراً يخلد أسمي مثلما فعل فراعنة مصر ببنائهم الأهرامات وقياصرة روما الذين شيدوا القصور والملاعب العظيمة. هذا هو الخلود الذي يصبوا إليه الملوك يا وزير.
الوزير: إنها فكرة عظيمة يا مولاي، لكن تنفيذها سيكون صعباً إن لم يكن مستحيلاً. فأرضنا طينية رخوة ليس فيها جبال لنقتلع منها صخراً يكفي ولو لبناء هرم صغير، وليس فيها شجر غير النخيل وأشجار صغيرة لا تصلح جذوعها لبناء الصروح العظيمة.
الملك: أترضى أن يسكن الملك في بيت من طين، ويبقى ساهراً في أيام الفيضان مثل أبسط أنسان من رعيته خائفاً من طوفان النهر، ويفيق في الصباح ليتفاجأ بأن مياه الفيضان قد أحاطت ببيته من كل جانب؟ ... كلا أريد قصراً ليس له مثيل، أفخم من إيوان كسرى.
الوزير: أفخم من إيوان كسرى!
الملك: وأجمل من قصر قيصر روما.
الوزير: أجمل من قصر قيصر روما!
الملك: وأعظم من أهرامات فرعون.
الوزير: أعظم من...
الملك: (مقاطعاً) كف عن ترديد كلامي مثل ببغاء! يروون بأن من عادة المصريين القدماء دفن زوجات ووزير وخدم الفرعون الميت معه ليؤنسوه في الآخرة.
الوزير: لن يطيب لنا عيش بعدك يا مولاي. وهل اخترت لقصرك موقعاً مناسباً؟
الملك: على ضفة النهر.
الوزير: وخطر الفيضان يا مولاي!
الملك: سنرفع الارض أولاً ثم نبني القصر ونمد السور حتى يكون القصر داخل السور، والآن قل لي مَنْ سنكلف بعمارته؟
الوزير: في مملكتك يا مولاي معماريون وصناع مهرة.
الملك: ولكن من سيصمم القصر؟
الوزير: سنجده، لن يستعصي علينا العثور على معمار بارع.
الملك: بارع! بارع! هذا لا يكفي. أنا لا أقبل بمعمار بارع. يجب أن يكون عبقرياً، فذاً. لا يهمني من يكونومن أي البلاد، رومي، فارسي، أو هندي. المهم أن يكون صانع معجزات.
الوزير: سنجده.
الملك: أعطيك مهلة شهر واحد للعثور عليه.
الوزير: وهل فكر مولاي بتكاليف القصر؟
الملك: سأخصص كل ما في خزائني وغنائم الحرب لذلك. وسيذكر الناس بعد آلاف السنين بأن رعايا الملك بنوا هذا القصر حباً بملكهم، كما بنى ملك بابل حدائقه المعلقة لزوجته. ألا أستحق هذه الهدية من رعيتي بعد أن حققت لهم هذا النصر العظيم؟
الوزير: ولكن النفقات ستكون باهظة.
الملك: ارفع الضرائب وافرض رسوماً جديداً إذا اقتضى الأمر. والآن أنصرف لتبحث عن المعمار.

الفصل الثاني
المشهد الاول

(منظر طريق في المدينة وعلى جانب الطريق ومدخل دكان حداد. يدخل أنمار ونزار يحملان متاعهما، ويقفان بالقرب من مدخل الدكان).

نزار: لماذا الوقوف هنا يا معلمي؟ سيظنّ الناس بأننا نتحرَّش بالنسوة المارات.

أنمار: وهل يبدو من ملابسنا المتربة وشعورنا الشَعِثَة بأننا خرجنا لمغازلة النسوة؟

نزار: سأكون كاذباً لو ادعيت معرفة سبب اهتمامك بأحوال هؤلاء الناس وعلاقة ذلك بعملنا.

أنمار: لا ترفع صوتك فإذا عرف الناس بمهمتنا ستتغير طريقة معاملتهم لنا! قلت لك بأننا غريبان وحتى ننجز مهمتنا على أكمل وجه يجب أن نتعرف على طريقة حياتهم وعاداتهم... أنظر إليهم! هل تشبه ملابسهم ملابسنا أو لباس الفرس؟ ولاحظ تعابير وجههم وحركاتهم... كما أن بيوتهم تختلف عن بيوت الأقوام الأخرى.

نزار: أنت حكيم يا معلمي.

أنمار: كل مهنة تحتاج إلى قليل من الحكمة مثلما يحتاج الطعام الى ملح، ولا تنس أيضاً بأن عملنا يتطلب التعامل مع أعداد كبيرة من الناس، وحتى تنجح في التعامل مع الناس يجب أن تفهم طبائعهم وعاداتهم.

نزار: إذا يسمح لي معلمي بسؤال، ماذا تعلمت من مشاهداتك حتى الآن؟

أنمار: لقد شاهدنا أموراً غريبة هذه في الأيام القليلة التي قضيناها في هذا المملكة. الصراع بين الخير والشر والضياء والظلام قديم قدم هذه الأرض ولكن أحزنني أن أرى الغلبة للظلام أو هكذا تراءى لي...

نزار: أصحيح ما يقولون يا معلمي بأن بابل هي أصل الشر وأن هذه الارض ملعونة؟

أنمار: وما ذنب الأرض! وهل هذه النخلة شريرة أم ذلك النهر؟ وهل يلتصق الشر بالأرض حتى بعد أن يرحل الإنسان المُفْسد؟

نزار: صورة الرجل العجوز في الطين لا تفارق ذهني.

أنمار: مسكين. أفنى عمره في تربية ورعاية ابنه...

نزار: وجازاه بالعقوق. وجدناه في تلك الليلة الممطرة الباردة يسحب أباه في الطين ليلقيه في النهر.

أنمار: لو كان للنهر فم ولسان لفاض بالحزن.

نزار: ألا ينفرك ذلك من الزواج والذّرّية؟

أنمار: لا! انظر الى هذا الحداد العجوز يجلس على دكته ويراقب مساعديه! أنا متأكد بأن بعضهم إن لم يكن جميعهم أولاده.

نزار: والرجل الذي قتل أخاه بتحريض من رجال الملك؟

أنمار (بلهجة حزينة): كان نائماً في فراشه، ويد أخيه التي امتدت لا لتغطيه وانما لتغرس خنجرا في قلبه. ما أقسى قلبه وأضعف عقله.

نزار: الانتحار عندي أهون من الخيانة.

أنمار: شهوة القوة والمال قوية والإرادة تضعف أمام الاختبار.

نزار: الموت أهون.

أنمار: أخاف من الاختبارات الصعبة.

نزار: أنت متواضع يا معلمي.

أنمار: بل صريح. ما أسهل أن يجلس الإنسان في بيته ويوصد أبوابه عن العالم ويطلق الأحكام. أقول لك الآن لو كان معلمك في ورطة، وبإمكانك النجاة بنفسك فلا تتردد.

نزار: في هذا لن أطيعك.

أنمار: وأنا أعذرك مقدماً.
نزار: لن أغفر لنفسي لو خنتك.
أنمار: عندما تغرق السفينة فكل راكب يبحث له عن لوح خشب يتشبث به.
نزار: ولكن فرص النجاة للجميع ستكون أفضل لو تعاونوا في بناء طَّوف.
أنمار: أنت أحكم مني يا نزار.
نزار: هذا غيضٌ من فيض وأنت النبع.
(يدخل رئيس الكهنة ووراءه صبي يحمل مبخرة)
أنمار: انظر ها قد حضر الكاهن لزيارة الحداد!
(يقف رئيس الكهنة بباب الحداد، فينهض الحداد ويهرول باتجاهه، ينحني على يده ويقبلها)
الحداد: شرَّفت الدُكّان وأهله يا سيدي رئيس الكهنة.
رئيس الكهنة: جئت لأبارك الدُكّان وأهله.
الحداد: بحكمة الملك وبركاتك تزداد النَّعم.
رئيس الكهنة: وماذا تستوجب النَّعم يا حداد؟
الحداد: الشكر يا سيدي والطاعة.
رئيس الكهنة: لكن الشكر وحده لا يكفي لتعمير مجامر البخور بل الهبات، والشكر وحده لا يغسل عتبات الأرباب بل دماء القرابين.
(يسحب الحداد كيس نقوده من حزامه ويخرج منه دراهم ويسلّمها لرئيس الكهنة).
رئيس الكهنة: (يعد النقود ويخاطبه باستنكار): ما هذا أيها الحداد أنها إهانة للأرباب؟
الحداد: صدقني يا سيدي هذا كل ما تبقى لدي من نقود! لقد سبقك رسول رئيس الحرس الذي لم يترك لي سوى هذه الدراهم القليلة.
رئيس الكهنة: أنت تدفع لقائد الحرس ليرعى مصالحك وما تعطيه للمعبد يذهب للأرباب لكي تبارك رزقك.
الحداد: غداً ستكون الحصة الكبرى للأرباب.
(يستدير رئيس الكهنة منصرفاً يتبعه الصبي).
الحداد: ألن تبارك الدُكّان يا سيدي؟
رئيس الكهنة: في الغد، اِتبعني يا ولد!
الحداد: دعه يبارك الدُكّان ولو من الباب.
رئيس الكهنة: في الغد، في الغد إذا قبلت الأرباب قُربانك.
أنمار: تعال لنقابل هذا الحداد.
(يسرع ليقطع عليه الطريق).
أنمار: السَّلام عليك يا سيدي. نحن غريبان من مدينتكم الجميلة فهل تدلنا على نُزل نبات فيه ليلتنا؟
الحداد: أهلا بالغريبين، ستنزلان في بيتي ضيفين مكرمين.
أنمار: هذا كرم عظيم منك يا سيدي، ونحن نقبل ضيافتك شاكرين. شاهدت الكاهن مغادراً وقد بدا مستاءً ولم يرد على تحيتنا.
الحداد: (حزيناً) رفض مباركة دُكّاني لأن المبلغ الذي قدمته له كان قليلاً مع أنه كل ما تبقى لدي بعد أن دفعت فريضة رئيس الحرس. تقول بأنه كان غاضباً؟
أنمار: نعم، وهل هذا يقلقك؟
الحداد: وكيف لا! يجب أن أدفع له مبلغاً أكبر غداً لإرضائه. أنتما غريبان ولا تعرفان مدى قوة سحر الكهان وتأثيرهم على الملك.
أنمار: وهل تدفع له ولرئيس الحرس بانتظام؟
الحداد: نعم! جميع التجار والصناع في السوق يدفعون، وندفع لرئيس الكهنة مقابل بركاته ومن لا يدفع يسلَّط

عليه سحره القوي... ويقال أن الوزير سيفرض ضريبة جديدة.
أنمار: وما الداعي لهذه الضريبة؟
الحداد: لا أحد يعرف بالضبط، يقال بأنهم بحاجة الى أموال لإقامة معبد جديد أو بناء قصر للملك.
(تدخل شابة جميلة في يدها صرة)
جاءت أبنتي بطعام أخوتها (يتناول منها الصرة ويخاطبها) عودي الى أمك يا غادة وأخبريها بأن لدينا ضيفان!
(يستدير الحداد متجهاً الى دُكّانه ويبقى أنمار ونزار في الخارج. يراقب أنمار الفتاة حتى تخرج).

الفصل الثاني
المشهد الثاني

(بيت الحداد، تفتح الستارة عن غرفة فيها أثاث بسيط)
نزار: الحداد وأهله ناس طيبون.
أنمار: نعم، لقد أعادوا لي الثقة بأهل المدينة. ما رأيك بابنته غادة، أليست جميلة؟
نزار: لم أر أجمل منها في حياتي. ليس لها مثيل في حسن أخلاقها وطيبتها.
أنمار: فتاة مثلها فيها كل الصفات التي يطلبها الرجل في الزوجة الصالحة فلماذا لم تتزوج حتى الآن؟
نزار: ربما لأنها ابنتهما الوحيدة ووالداها يكرهان مفارقتها.
أنمار: جائز، البنت تكون عزيزة إذا كانت وحيدة.
نزار: من حسن حظها أن الناس هنا لا يئدون بناتهم.
أنمار: لقد أعجبت بالبيت وأهله فسألت الحداد أن يأجرنا غرفتين. أتعرف بأنه رفض قبول نقودي لكنه وافق في النهاية أمام إصراري. ما رأيك؟
نزار: إنها فكرة ممتازة. ولكن أما حان الاوان لنبدأ عملنا يا معلمي؟
أنمار: كلا.
نزار: لقد قضينا كل نهار منذ وصولنا إلى هذه المدينة في التجوال بشوارعها وأزقتها. ذرعنا ضفتي النهر عدة مرات حتى أصبح وجهانا معروفين لدى الملاّحين وصائدي الأسماك.
(يدخل رئيس الكهنة ووراءه الحداد وصبي رئيس الكهنة).
الحداد: تفضل يا سيدي وبارك بنعليك بيتي المتواضع.
رئيس الكهنة: (ملتفتاً الى الصبي) دُرْ يا ولد في بيت الحداد وأرسل البخور في كل زاوية منه! (يفاجأ بوجود أنمار ونزار فيخاطب الحداد) لديك ضيفان؟
الحداد: إنهما غريبان يزوران مدينتنا الجميلة: السيد أنمار وتلميذه نزار.
رئيس الكهنة: آه... مُعَلّم وتلميذه. ومن أي البلاد يا معلم أنمار؟
أنمار: نحن من مملكة الشمال يا سيدي.
رئيس الكهنة: إنها أرض طيبة ولكنها باردة، وأنا لا أطيق البرد.
أنمار: في الشتاء فقط، أما في الصيف فمناخها لطيف.
رئيس الكهنة: ومتى تركت بلادك الجميلة؟
أنمار: منذ عدة شهور.
رئيس الكهنة: وما أخبار ملك الشمال؟ هل ما يزال بدون ولي عهد؟
أنمار: مع الأسف، ويقال بأنه حزين جداً بسبب ذلك.
رئيس الكهنة: لو كان لديكم كهنة مثل كهنتنا وأرباب مثل أربابنا لرُزِق ملككم ذكوراً وإناثاً.
أنمار: لا أظن أن الملك سيتحول عن دينه من أجل ذلك.
رئيس الكهنة: أنت مخطئ يا مُعَلّم. لو أقتنع الملك بذلك لما تردد في تغيير دينه وأربابه.
أنمار: إن تغيير دين الآباء والأجداد ليس هيناً.
رئيس الكهنة: ربما عند عامة الناس لكن إذا أراد الملك يصبح كل شيء ممكناً.
أنمار: إن علمك غزير في هذا المجال وجهلي واضح.
رئيس الكهنة: وماذا تُعلم أيها المُعَلّم؟
أنمار: لا أستحق هذا اللقب ولا أدعي أي علم فأنا وصديقي نزار طالبا علم.

رئيس الكهنة: أنت متواضع يا مُعَلّم وهذه صفة نادرة بين المُعَلّمين (يستدير الى الحداد ويخاطبه) يا حداد جفَّ حلقي من كثرة ترديد الصلوات.
الحداد: أمرك يا سيدي.
رئيس الكهنة: أحرصوا علي أيها العباد حرصكم على أموالكم وأولادكم!
(يخرج الحداد)
أنمار: أطال الله عمرك.
رئيس الكهنة: لا غنى للناس عن المعبد والكهنة، وبلادنا ليست مثل بلادكم فكما أن دماء سكانها حار فإن غضب أربابنا سريع، ولا نسلم من مزاجها المتعكر حتى في الربيع عندما توقظها المياه الباردة المتدفقة من جبالكم من سُباتها الشتوي فتفيض وتُغرِق أكواخ الفلاحين ومواشيهم ومزارعهم.
أنمار: أما نحن فنحتفل بالربيع وعودة الحياة الى الحقول. فيقيم الناس الأفراح ويرقصون ويغنون.
رئيس الكهنة: ألا ترى كم نحن مختلفان؟ وصيفنا قاسي أيضاً. يستعر غضب الأرباب القاطنين في الصحراء الغربية فيثيرون الزَّوابع الرملية التي تحجب الشمس وتخنق الأنفاس، ويقبع الناس في بيوتهم خائفين أو يلوذون بالمعبد. وفي الشتاء أيضاً ترسل ربة العواصف الصواعق التي تحرق الحقول والرياح لتقتلع الزرع وتكسر الأشجار. ألا تتفق معي يا معلّم أنمار بأن للمعبد والكاهن دور مهم في التوسط بين البشر والأرباب كما فعلت من قبل اثناء الطوفان؟
أنمار: كلامك صحيح ولكن ماذا سيكون عمل الكاهن لو كان الجو معتدلا ً دائماً؟
رئيس الكهنة (مستنكراً): يبدو من سؤالك بأنك من المشككين يا معلّم.
أنمار: بل هو مجرد سؤال حباً بالمعرفة.
رئيس الكهنة: لا غنى عن الكهنة في كلّ الأحوال وإلا فمَنْ يطرد الأرواح الشريرة من أجساد المرضى والممسوسين ومن يبطل السِّحر؟
أنمار: معك حق.
رئيس الكهنة: أنصحك بأن لا تردد مثل هذا الكلام أمام الناس البسطاء وإلا ظنوا بأنك تسخر من مقدساتهم.
(يدخل الحداد حاملاً إبريقاً وكؤوساً)
الحداد: المعلّم أنمار رجل حكيم.
رئيس الكهنة: (يتناول كأساً من يد الحداد) وهل ستصبح واحداً من تلامذته يا حداد؟
الحداد: وبماذا يفيد العلّم حدادا ً مثلي له أبناء تسعة.
أنمار: هنالك شيء جديد يتعلّمه الانسان كل يوم.
رئيس الكهنة: أنت حكيم بحق وحقيق.
أنمار: أخجلتم تواضعي.
رئيس الكهنة: وما هي المعرفة التي تبحث عنها في بلادنا؟
أنمار: كل ما ينفع الناس. لقد اكتشفت أثناء سفراتي العديدة بأن المعرفة تأتي من الاختلاط بالناس وملاحظة أعمالهم وتصرفاتهم وعاداتهم والاستماع لأحاديثهم.
رئيس الكهنة: وماذا أسترعى اهتمامك في بلادنا؟
أنمار: كرم أهلها وطيبة نفوسهم وجمال طبيعتها ونهرها العظيم.
رئيس الكهنة: أنت دقيق الملاحظة... يا ولد! اقترب!
(يقترب منه الصبي فيهمس رئيس الكهنة بأذنه ويخرج الصبي مسرعاً).
الحداد: لو شرفتني يا سيدي بتناول طعام الغداء معنا.
رئيس الكهنة: سأتناول طعام الغداء على مائدة الملك كعادتي في كل يوم إثنين ولكني لست مستعجلاً مغادرة بيتك لأني أريد الاستماع لحديث المعلّم الممتع والمفيد.

أنمار: هذا مديح لا أستحقه.
رئيس الكهنة: وماذا لاحظت أيضاً في بلادنا؟
أنمار: أشياء كثيرة يصعب تذكرها لذا فقد دونتها حتى لا أنساها.
رئيس الكهنة: أنت تقرأ وتكتب! الكلّ هنا أُمِّيّون سوى الكُهّان والوزير والنبلاء (ملتفتاً صوب نزار) وأنت يا نزار ما الذي تعلّمته؟
نزار: تعلّمت الكثير عن الحياة وطبائع البشر ولست نادماً على ساعة واحدة قضيتها في صحبة معلّمي.
رئيس الكهنة: أنت تلميذ نجيب.
(تسمع ضجة من الخارج، ثم يقتحم الغرفة أربعة حراس يتبعهما رئيس الحرس وصبي الكاهن).
رئيس الحرس: أين الجاسوسان يا سيدي رئيس الكهنة؟ لقد حضرت شخصياً لأقبض عليهما.
أنمار: جاسوسان!
الحداد: يا ويلي.
رئيس الكهنة: ها هما الجاسوسان يا رئيس الحرس. لقد اعترفا بأنهما قدما من مملكة الشمال.
(يشير رئيس الحرس الى الجنود فيحيطون بأنمار ونزار. يتحرك نزار ليقف أمام أنمار وكأنما يريد حمايته بجسمه لكن أنمار يزيحه برفق).
رئيس الحرس: (مخاطباً أنمار ونزار) هل تعترفان بذلك؟
أنمار: بماذا نعترف؟ بأننا من مملكة الشمال نحن لا ننكر ذلك ولكننا لسنا جاسوسين.
رئيس الكهنة: لقد أعترف لي هذا المدعو أنمار بأنهما جاءا من مملكة الشمال وتجولا في بلادنا وزارا مدنها وقُراها وأدعى بأنه معلِّم وهذا الآخر هو تلميذه ومرافقه.
الحداد: أهذا معقول؟
رئيس الكهنة: اصمت يا حداد! وما أدراك أنت بهذه الأمور.
أنمار: إن كل ما قاله سيدي رئيس الكهنة صحيح سوى أننا لسنا جاسوسين.
رئيس الكهنة: فتش أمتعتهما! أنا متأكد بأنهما مرسلان من قبل ملك الشمال ليجمعا المعلومات عن بلادنا تمهيداً لغزوها.
رئيس الحرس: سيخيب أمل ملك الشمال الطامع ببلادنا. أما أنتما فلدي الوسائل المناسبة لحمل أجلد الناس على الاعتراف.
أنمار: أنت تقترف خطئاً كبيراً يا سيدي.
رئيس الكهنة: لقد أعترف بأنه يدون المعلومات التي يجمعها في رَّقٍّ. فتش أمتعته وستجده حتماً بينها!
نزار: سيدي لم لا تقل لهما الحقيقة؟
رئيس الكهنة: الحقيقة! هذا ما نريد معرفته، هل سمعت يا رئيس الحرس؟ المُرِيد يطلب من المعلِّم الاعتراف بحقيقة أمرهما.
نزار: الحقيقة هي أننا...
أنمار (مقاطعاً): انتظر يا نزار فلم يحن الوقت بعد!
رئيس الكهنة: نصيحتي لكما بأن تعترفا الآن لتتجنبا العذاب الأليم الذي ينتظركما على يد رئيس الحرس (مخاطباً الحداد) وأنت آمل ألا تكون مشتركاً معهما؟
الحداد: أنا لا أعرف شيئاً عن هذا الأمر يا سيدي. لقد وجدتهما أمام دُكّاني فاستضفتهما (مخاطبا أنمار) أهذا جزاء المعروف يا معلِّم أنمار؟
أنمار: اطمئن، ستظهر الحقيقة عاجلاً وستتأكد بأننا مظلومان.
نزار: اخبرهم يا سيدي!
أنمار: كلا، إنهما خصماي – رئيس الكهنة ورئيس الحرس. لقد طعنا في شرفنا ومن حقنا أن نطالب بعدالة الوزير أو حتى الملك.

رئيس الحرس: ليس في قلب ملكنا أو وزيره رأفة بالمجرمين أمثالكما.
أنمار: سأعترف بالحقيقة أمام الوزير.
رئيس الحرس: فليكن. ستعترف أمام الوزير بالحقيقة وبنوايا ملك الشمال الخبيثة ثم سأقودكما بنفسي الى السجن. تفضل يا سيدي رئيس الكهنة، وأنت يا حداد ستأتي معنا أيضاً.
الحداد: أنا يا سيدي. وماذا جنيت؟
رئيس الحرس: أنت تستحق العقاب على إيوائك هذين الجاسوسين. لولا فَراسة وفِطْنة سيدي رئيس الكهنة لما ألقينا القبض عليهما. هيا!

(يخرج الجميع)

الفصل الثاني
المشهد الثاني

(قاعة في قصر الوزير. الوزير جالس على كرسي في صدر القاعة. يدخل رئيس الحرس ورئيس الكهنة وأنمار ونزار والحداد وحرس).
رئيس الكهنة: السّلام على حضرة الوزير.
الوزير: وعليك السّلام. أهلاً برئيس كهنتنا ورئيس الحرس ما الذي جمعكما سوية؟ خَيرٌ!
رئيس الكهنة: ستعرفه حالا يا سيدي.
رئيس الحرس: لقد جئناك يا سيدي بجاسوسين أرسلهما جارنا المخاتل في الشمال ليتجسسا على ديارنا وقد عثرنا بحوزة هذا (مشيراً الى أنمار) على رَّقٍّ فيه وصف دقيق لمدننا وقرانا كما أخبرني رئيس الكهنة.
رئيس الكهنة: أنا الذي كشفت حقيقة هذين الجاسوسين المتخفيين وأرسلت وراءه رئيس الحرس ليقبض عليهما.
الوزير: جاسوسان ومن ملك الشمال! وهل اعترفا بذلك؟
رئيس الحرس: لقد أصرا على المثول أمامك.
الوزير: (مخاطباً أنمار) وهل ما يزال ملككم الأحمق بلا وريث؟
أنمار: نعم يا سيدي. ولم تفلح زوجاته العشر ولا تعاويذ كهنته أو أدوية حكمائه في تغيير ذلك.
الوزير: وهل مات وزيره الأعور أم ما يزال حياً؟
أنمار: لايزال يخدم الملك رغم تقدمه في السن.
الوزير: مادام هو الوزير فلا بد أن شخصاً آخر قد أرسلكما لتتجسسا علينا، وأرجح أن يكون قائد الجيش.
أنمار: يا سيدي! لم يرسلنا أحد للتجسس عليكم.
رئيس الكهنة: لا تنكر فلدينا الدليل!
رئيس الحرس: ساعة واحدة في أقبيتي ستحلُّ عقدة لسانه.
الوزير: انتظر لنسمع منهما! من أنتما؟
أنمار: اسمي أنمار وهذا صديقي ومرافقي نزار.
الوزير: وما جاء بكما الى مملكتنا؟
أنمار: جئنا تلبية للدَّعوة.
الوزير: مدعوّين!
أنمار: نعم. أنا أنمار الذي طلبني الملك لأبني له قصراً ولدي كتاب منكم تجدونه بين أمتعتي التي استولى عليها رئيس الحرس.
رئيس الكهنة: مِعمار!
الوزير: تذكرت! أنت المِعمار أنمار. يا حراس فكوا قيوده! لقد اقترفت خطأ فظيعاً يا رئيس الحرس. أرجو أن تعذره يا معلّم أنمار.
رئيس الكهنة: لم يقل لنا بأنه مِعمار.
رئيس الحرس: كان سلوكه مريباً.
أنمار: وهل كنت ستصدقني لو قلت الحقيقة. كنت على الأغلب ستقبض علينا وتقودنا الى أقبيتك لتجبرنا على الاعتراف... وحتى لو اكتشفت الحقيقة فيما بعد فسيكون الأوان قد فات ومن مصلحتك إسكاتنا وللأبد.
الوزير: (بحماس) تعجبني يا معلّم. لقد سبرت أغوار نفس رئيس الحرس كما لو كنت تعيش معنا.
رئيس الحرس: مصلحة المملكة والملك فوق كل شيء.
رئيس الكهنة: لقد خدعنا وأخفى عن الناس سبب قدومه الى بلادنا.

أنمار: بهذا أعترفُ وأعتذر أمامكم للحداد الطيب الذي استضافنا في بيته لأني كنت السبب في اقتياده مخفوراً إلى حضرة الوزير، ولكني أردت التعرف على بلادكم وطراز مبانيها وطباع أهلها قبل مباشرة عملي في بناء القصر، فكما أن الملك بالنسبة لشعبه هو بمثابة الرأس من الجسد فإن قصر الملك يجب أن يكون الدرة وسط مدينتكم الجميلة التي تطوق نهركم العظيم كما يطوق عقد الجواهر جيد حسناء.
الوزير: أحسنت التشبيه يا معلم.
رئيس الكهنة: كان سلوكهما مشبوهاً.
رئيس الحرس: وأنا تصرفت على أساس ما أكَّده لي رئيس الكهنة.
رئيس الكهنة: قبل قليل كنت تريد الانفراد بالمجد لوحدك والآن تضع كل اللوم علي.
الوزير: الآن عرفنا الحقيقة وانتهت القضية، ولا أظن أن المعمار أنمار سيذكركما بسوء أمام الملك (مخاطباً رئيس الكهنة ورئيس الحرس) انصرفا الآن (يخرج رئيس الكهنة ورئيس الحرس والحداد) والآن يا معمار وقبل أن نتشرف بالمثول أمام الملك يجب أن نجد لك مسكناً لائقاً.
أنمار: شكراً لك يا سيدي. لقد اتفقت مع الحداد على استئجار غرفتين في بيته.
الوزير: كما تشاء. قبل أن نتوجه الى قصر الملك لي طلب عندك يا معمار. مملكتنا ليست غنية جداً وقد أرهقتنا الحروب وأفرغت خزائن المملكة والملك يريد قصراً عظيماً يخلِّد اسمه من بعده، وارادته مطاعة، ولكن كما يقولون اليد قصيرة والعين تنوش النجوم.
أنمار: أطمئن يا سيدي سأحرص على أموال الملك حرصي على أموالي.
الوزير: عظيم، ستكون أنت المسؤول عن البناء، وعليك أن ترجع لي في كل الأمور. والآن لنذهب لزيارة الملك والسلام عليه.

الفصل الثاني
المشهد الثالث

(في قاعة العرش. يدخل الوزير ووراءه أنمار ونزار. يسلّمون على الملك ويتقدم الوزير).
الوزير: لقد نفذتُ أمرك يا مولاي وأحضرت معي أعظم معمار في ممالك الشرق والغرب. وهذا هو أنمار.
(يتقدم أنمار ويركع أمام الملك)
الملك: أهذا هو المعمار المشهور! كيف وصلت الى هذه المكانة الرفيعة في سنّ الشباب؟
أنمار: تعلمت الصَّنعة من أبي، وما لم أحصل عليه بالخبرة تعلمته بالعقل.
الوزير: إنه ليس معماراً عادياً يا مولاي إنه حكيم أيضاً.
الملك: واضح من كلامه، لو لم تكن وزيري لعينته وزيرا لي ولكني لست بحاجة الى الحكمة الآن. هل تعرف مطلبي يا معمار؟
أنمار: قصر عظيم يليق بعظمة مولاي.
الملك: كل قصور الملوك عظيمة.
أنمار: قصر فَخْم.
الملك: هذا غير كاف أيضاً.
أنمار: قصر رائع الجمال.
الملك: الجمال يزول بمرور الأيام، فالقصور مثل البشر تشيخ ويذبل جمالها.
أنمار: قصر ليس له مثيل في الدنيا.
الملك: الآن بدأت تفهمني. أريده قصراً فريداً في عظمته وروعته وجماله يعجب الناس، ويدوم مئات أو حتى آلاف السنين. أريده أن يكون معجزة بقدر استطاعة إنسان زائل على صنع المعجزات.
أنمار: سأعمل على تحقيق مشيئتك يا مولاي.
الملك: (متحمساً) تصوره في مخيلتك كما سيكون وصِفهُ لي! ما شكله؟ ما لون حجارته؟ كم سيبلغ ارتفاعه؟
أنمار: سيكون أجمل وأعظم وأفخم وأعلى قصر عرفه الناس حتى اليوم.
الملك: أعلى قصر في العالم!
أنمار: سترى من فوق شرفاته وسطحه مناظر لم تشاهدها عين إنسان من قبل.
الملك: وهل هذا ممكن؟
الوزير: (محذراً) لا تبالغ يا معمار فمولاي يكره المتبجحين الذين يقولون ما لا يفعلون.
أنمار: لست متبجحاً ولا مدعياً، ستبنى النسور أعشاشها في طبقاته العالية، ومن فوق سطوحه سيكشف حراس مولاي أي عدو يجرؤ على الاقتراب من مدينته وسيأتي الناس من كل مكان لمشاهدته.
الملك: وإذا لم تبرّ بوعدك؟
أنمار: سأضع نفسي تحت رحمتك.
الوزير: لن تجد رحمة إذا بددت أموال الملك.
الملك: أنا موافق. ابدأ منذ الغد يا معمار. لا تتباطأ فإن صبري سريع النفاذ. وسيوفِّر لك وزيري ما تحتاجه من أموال وعمال. (يشير بيده فيسلم الجميع ويخرجون).

الفصل الثالث
المشهد الاول

(غرفة في بيت الحداد. أنمار واقف عند نافذة. تدخل غادة وتفاجأ بوجود أنمار فتنسحب في خجل).
أنمار: انتظري أرجوك!
غادة: بماذا تأمرني يا سيدي؟
أنمار: أنت الآمرة الناهية!
غادة: أنا يا سيدي!
أنمار: منذ أن سكنت في بيتكم أصبحت رجلا مختلفاً. كنت لا أهتم بشيء سوى عملي، بناء البيوت والمعابد والقصور. أقضي نهاري في العمل وليلي في التفكير به ولكني تغيرت. لم أعد قادراً على التركيز على عملي. عقلي منشغل وفكري مشدوه.
غادة: أتمنى ألا تكون مريضاً.
أنمار: بدني صحيح ولا أشكو من أوجاع لكنني مع ذلك مريض.
غادة: سأطلب من أمي أن تغلي لك بعض الأعشاب لتشربها.
أنمار: (مبتسماً) سأشربها ولكني أشك بأنها ستشفيني.
غادة: لدى كاهن المعبد أدوية لكل الأمراض.
أنمار: وماذا سيفعل لي الكاهن؟ سيأخذ نقودي ويحرق البخور ويتمتم بتعويذاته.
غادة: حكيم البدو بارع في طب الأعشاب والكي.
أنمار: وإذا قلت لك بأن سبب مرضي هو في هذه الغرفة.
غادة: الغرفة! أليست نظيفة؟ أنا اكنُّسها وأفتح نوافذها يومياً.
أنمار: ليس هواء الغرفة. أقصدك أنت.
غادة: أنا!
أنمار: أنت تجلسين في عقلي مثلما يجلس الملك في قاعة عرشه. تشغلين فكري وتمنعيني من أداء عملي.
غادة: أنا!
أنمار: هل تنصحيني الآن بزيارة حكيم البدو لأشكو له مرضي أم ألجأ الى الكاهن لعله يشفني بسحره القوي.
(يدخل الحداد)
الحداد: غادة ماذا تفعلين هنا! (مخاطباً أنمار) أرجو ألا تكون قد أزعجتك السيد بأسئلتها الفضولية. (إلى غادة) هيا اذهبي الى أمك ولا تضيعي الوقت وإلا اعتقد السيِّد أنمار بأنك كسولة.
أنمار: لا تلمها! أنا المسؤول عن تأخيرها... أرغب في مفاتحتك بأمر مهم.
الحداد: تحت أمرك يا سيدي. انصرفي يا غادة!
(تخرج غادة)
أنمار: لقد كنت كريماً معي – ومع صديقي نزار. استضفتنا وأويتنا في بيتك. وقد لمست أثناء إقامتي في بيتك طيبة أهله وكرمهم وأتمنى أن أصبح واحداً من أهل هذا البيت.
الحداد: تشهد الأرباب بأنك عزيز على قلبي مثل واحد من أبنائي لا أفرق بينك وبينهم.
أنمار: وأنا أرغب في تقوية هذه الرابطة بالمصاهرة وأطلب منك أن تقبلني زوجاً لابنتك.
الحداد: غادة!
أنمار: أعدك بأنها ستكون معززة مكرمة في بيتي – بيتنا.
الحداد: لا أشك في ذلك. لقد فاجأتني وأنه شرف عظيم لي ولعائلتي. سيد عظيم مثلك يدخل على الملك يتزوج من ابنة حداد وضيع مثلي!
أنمار: لست من السّادة ولا الأشراف وإنما أنا معمار بسيط وكما أن الملوك لا يستغنون عن حداديهم لصنع

السيوف والرماح والدروع لجيوشهم فهم يحتاجون إلى معمارين لبناء قلاعهم وقصورهم.
الحداد: بدون تردد أقول لك بأن مصاهرتك تشرّفنا ومنذ اليوم أنت صهري (يتعانقان) وبيتي هو بيتك.

الفصل الثالث
المشهد الثاني

(موقع قصر الملك، تفتح الستارة عن غبار متصاعد وأصوات استغاثة وعدد من العمال يركضون نحو المكان)

البنّاء الأول: أنجدونا! لقد هوى الجدار.
البنّاء الثاني: أنجدوا أخوتكم.
البنّاء الثالث: أسرعوا فقد يكون هناك أحياء تحت الانقاض.
البنّاء الأول: نفتقد ثلاثة كانوا يعملون في هذا المكان.
البنّاء الثاني: (مخاطبا البناء الأول) أذهب بسرعة وأحضر عدداً من العمال لمساعدتنا.
(يخرج البناء الأول)
البنّاء الثالث: أشك بأننا سنجدهم أحياء.
البنّاء الثاني: لا تضيع الوقت! ساعدني في رفع الانقاض.
(يدخل أنمار ونزار بصحبة عدد من العمال)
أنمار: ماذا حدث؟
البنّاء الثاني: انهدم الجدار الشرقي يا سيدي.
أنمار: وهل أصيب أحد؟
البنّاء الثالث: لا نعرف بالتأكيد. كان في المكان ثلاثة بنّاءون.
أنمار: وأين رئيسهم؟
البنّاء الأول: أظنه تحت الانقاض هو الآخر.
أنمار: ماذا تنتظرون إذن؟ لا تقفوا هكذا متفرجين! ارفعوا الأنقاض!
البنّاء الثاني: الأحجار ثقيلة جداً وأشك بأننا سنجدهم أحياءً.
أنمار: وما أدراك؟ أسرعوا لعلنا نعثر عليهم قبل أن يختنقوا.
(يرفع حجراً من بين الانقاض ويرميه بعيداً)
نزار: عددنا غير كاف.
أنمار: احضر كل العمال! ناولني ذلك العمود!
البنّاء الأول: لا ترهق نفسك يا سيدي! دعنا نقوم بالعمل فنحن كثرة.
أنمار: عمالي تحت الانقاض وأنا أتفرج مستحيل! ساعدني يا نزار في وضع العمود تحت هذا الحجر!
البنّاء الثاني: هذه يد... ساعدوني.
البنّاء الأول: هل هو حي؟
أنمار: هل تعرفتم عليه؟
البنّاء الثاني: وجهه مشوه. إنه قطعة من اللحم الدامي.
نزار: احملوه من هنا! المسكين.
البنّاء الأول: وجدت الثاني؟
أنمار: هل هو حي؟
البنّاء الأول: غير ممكن. غنه... مهشم.
أنمار: اللعنة على القصور.
نزار: سيدي أنمار. أنا المذنب.

أنمار: (مقاطعا) ليس هذا وقت المراجعة والحساب يا نزار، لنبحث عن الثالث.
البنّاء الثالث: تعالوا! وجدته! إنه حي.
البنّاء الثاني: عثروا على المشرف.
أنمار: اِحملوه الى الظل برفق!
نزار: أحضروا ماءً!
أنمار: ليذهب أحدكم لإحضار الكاهن لمداواته.
البنّاء الأول: لن يقبل يا سيدي.
أنمار: لم لا؟
البنّاء الأول: لا يعالج الفقراء.
أنمار: وحكيم البدو؟
(يسعل المشرف ويتأوه)
البنّاء الثاني: إنه يفتح عينيه يا سيدي.
البنّاء الثالث: قوي وسينجو.
أنمار: (مخاطبا المشرف) اطمئن! سيحضر حكيم البدو بعد قليل لمداواة جروحك.
المشرف (بضعف): لا فائدة يا سيدي، أشعر بدنو المنية.
أنمار: لا تقل هذا الكلام يا رجل. تشجع!
المشرف: ماذا حدث للعاملين؟ هل نجيا؟
أنمار: لا تقلق بشأنهما.
المشرف: ماتا! أنا المسؤول! يا ويلي من دعوات الأيتام.
أنمار: لا ترهق نفسك بالكلام!
المشرف: دعني أقول ما كتمته في صدري يا سيّدي قبل الوداع. عمالك وصناعك متعبون وجائعون.
البنّاء الثالث: استرح أنت وسنخبره!
البنّاء الثاني: معه حق نحن جائعون وأهلنا يبيتون جائعين.
البنّاء الثالث: أولادي يبكون في الليل.
البنّاء الثاني: أنا مرهق! لا أستطيع الاستمرار أسبوعاً آخر.
البنّاء الأول: تجار السوق رفعوا الاسعار.
البنّاء الثالث: الرِّبا مضاعف.
البنّاء الثاني: ليس لدينا نقود نشتري بها حنطة.
البنّاء الأول: (ساخراً) ليس لدي ما أشتري به تراب الحنطة.
أنمار: ماذا؟ ماذا تقولون؟ كيف حدث هذا؟
البنّاء الثالث: أنقص الوزير أجورنا.
البنّاء الثاني: أرضنا بارَت.
المشرف: أستمع لما يقولون يا سيدي!
البنّاء الأول: منعوني من زراعة أرضي.
البنّاء الثاني: قطعوا نخلاتي في الصيف الماضي لأن قومي تخلفوا لم يشاركوا في حرب الملك.
البنّاء الثالث: لولا أن امرأتي خياطة ماهرة لمتنا جوعاً.
أنمار: ولماذا يمنعونكم من زراعة أراضيكم؟
البنّاء الثالث: لقد كشطوا التربة ليصنعوا منها آجُرّاً لبناء القصر.
البنّاء الثاني: كان بستاني جنّة.
البنّاء الأول: شيدوا في أرضي تنوراً لفخر الطين.

أنمار: لم أعرف بذلك.
البنّاء الثاني: لن نتحمل هذا الوضع طويلاً.
البنّاء الأول: سأضطر للاقتراض من مُرابي.
البنّاء الثاني: وماذا سترهن عنده؟ زوجتك أم أبنتك؟
البنّاء الأول: (مهدداً) احفظ أدبك وإلا...
البنّاء الثاني: وإلا ماذا؟
البنّاء الأول: أدبتك بنفسي.
أنمار: كفى! مات المشرف.
نزار: أنا مذنب. كنت أعرف ولم أُخبرك.
أنمار: كلا! أنا المسؤول. أنانيتي أعمتني عن ملاحظة عذاب الآخرين.
(يدخل الوزير ورئيس الحرس مع ثلّة من الحرَّاس المسلحين).
رئيس الحرس: افسحوا الطريق لوزير الملك.
الوزير: ماذا يجري يا معمار؟ أرى عمالك عاطلين فما السبب؟ هل اليوم عيد!
رئيس الحرس: (ساخراً) أشركونا في احتفالكم!
أنمار: (محتداً) عيد! كيف حزرت يا سيدي. أنت قوي الملاحظة يا سيدي الوزير. إنها حفلة تنكرية. وتحت أقنعة التعاسة والحزن ستجد وجوها مترعة بالصحة والعافية والفرح. وتحت هذه الأسمال يرتدون أفضل ما لديهم من حرير. والآن تفضلا أيها السّيدان فهاهنا وليمة تنتظركم: ذبحنا لكم ثلاث ذبائح. لاتزال دماؤها طازجة. كيف تفضلونها، مشويّة أم مقلية؟
الوزير: ما هذا الهراء؟ هل جننت يا معمار؟
نزار: أنا المخطئ يا سيدي.
رئيس الحرس: إنه يسخر منا يا سيدي الوزير.
البنّاء الأول: (يتقدم) سقط جدار وقتل العمال.
رئيس الحرس: (يضربه بالسوط) اخرس! مَنْ أذن لك بالكلام في حضرة مولانا الوزير؟
أنمار: جلدة واحدة لأنه فتح فمه وتكلم دون استئذان فكم جلدة يستحق يا رئيس الحرس لو تجرأ وقال بأن أهله جائعون وأن أرضه تصحرت.
الوزير: ما هذا الكلام الغريب الذي أسمعه منك يا معمار؟ من نصَّبك مدافعا عن رعايا الملك؟
أنمار: كيف لا يا سيدي الوزير وهم عمالي الذين يشيدون قصر الملك، وبسبب جوعهم وضعفهم تنهار جدران القصر ولا ترتفع.
نزار: أنا أتحمل المسؤولية.
رئيس الحرس: هذه ليست أول مرة ينهار فيها جدار.
أنمار: ولكنها المرة الاولى التي يقتل فيها أناس أبرياء ولن أسمح بتكرار ذلك.
رئيس الحرس: (ساخراً) في كل يوم يموت الناس! (مخاطبا العمال) احملوا هذه الجثث الى أهلها.
الوزير: سترتفع تكاليف البناء بسبب الانهيارات المتكررة.
أنمار: وأنت تعرف السبب.
رئيس الحرس: لم أسمع بأعجب من هذا.
أنمار: السواعد التي تبني ضعيفة والجوع هو السبب.
الوزير: وهل أنا ربهم؟ غَلَّةُ الموسم الماضي رديئة والمخازن شبه خالية.
أنمار: نؤجل البناء حتى تمتلئ بطونهم ويصبحون قادرين على العمل.
رئيس الحرس: ما هذا الكلام السخيف!
الوزير: سيغضب الملك لو تأخر البناء.

أنمار: اعفيني من المهمة ودعني أعود الى بلدي.
الوزير: وماذا أقول للملك؟ (ينظر حوله فيرى العمال واقفين غير بعيد من مكانهم. يخاطب رئيس الحرس) اصرف هؤلاء العمال من هنا.
رئيس الحرس: (مخاطبا العمال) هيا عودوا الى أعمالكم!
الوزير: قل لي يا معمار كيف سأشرح هذا الوضع للملك؟
أنمار: صارحه بالحقيقة.
الوزير: الحقيقة! أنت لا تعرف الملوك.
رئيس الحرس: هل صدقت يا معمار ادعاءات هؤلاء الأوباش. ليس بينهم صادق واحد. اسألني عنهم؟ إنهم يتعيشون على الكذب والاحتيال. أتدري ما يفعلون بالبذور التي يوزعها عليهم الكهنة وملاكو الأراضي؟ هل يزرعونها؟ كلا! يأكلون ثلاثة أرباعها. لو فتشت بيوتهم ستجد فيها حبوباً وتموراً مدفونة.
أنمار: لا تنس يا سيدي بأني أسكن بين هؤلاء الناس، في بيت الحداد.
الوزير: (متهكماً) ذكرتنا بصهرك المحترم. أصبحت واحدا منهم؟
أنمار: تقصد من عامة الناس؟ نعم أنا واحد منهم ولم أدعي غير ذلك.
رئيس الحرس: ألا تعرف كيف تعاملهم؟
أنمار: وكيف تريدني أن أعاملهم؟
رئيس الحرس: كما يجب أن تعاملهم، كما تعودوا أن يعاملوا، بالترهيب والسوط إذا لزم الأمر، وبدون ذلك يتمردون.
أنمار: لست نخاساً. أنا معمار.
رئيس الحرس: دعني أقوم بالمهمة بدلاً عنه يا سيدي الوزير. سأعلن على العمال بأنه لو تهدم حائط بعد اليوم سأدفن كلّ العمال الذين شاركوا في بنائه.
أنمار: هؤلاء ليسوا عبيداً ولا سجناء.
رئيس الحرس: أنت غريب ولا تعرف طبيعة سكان مملكتنا.
الوزير: هذا الجدال غير مجد. المهم أن يستمر البناء دون زيادة في التكاليف.
أنمار: لازلت على وعدي وسأبذل ما في وسعي للاقتصاد بالتكاليف، لكن العمال جائعون ومنهكون ولن يستطيعوا تحمل ذلك طويلاً.
رئيس الحرس: هذه فتنة! المعمار يحرض العمال، وسيقود العامة إلى العصيان.
أنمار: يا سيدي رئيس الحرس أنا رجل غريب وكل ما يهمني هو بناء القصر.
الوزير: اهتم أنت ببناء القصر! ودَع لرئيس الحرس مهمة التعامل مع العمال.
أنمار: لن تُحلّ المشكلة.
الوزير: لقد أصدرت أمري وعليكما تنفيذه.

(يخرج الوزير ورئيس الحراس)

الفصل الثالث
المشهد الثالث

(في مجلس الوزير، الوزير جالس على كرسيه. يدخل رئيس الحرس)

الوزير: اعتمدت عليك وصدّقت وعودك فماذا كانت النتيجة؟ لقد خيبت ظني فيك. لم يتقدم العمل في القصر وكلما أرتفع جدار انهدم آخر.

رئيس الحرس: لم أقصّر في أداء واجبي. لكنه المعمار! هو المسؤول عن التأخير. إنه يحرض العمال.

الوزير: هراء! الملك ساخط. تركته يتهدد ويتوعد ويحملني المسؤولية. ماذا أفعل بكم؟

رئيس الحرس: اطرد المعمار وصديقه.

الوزير: ومن سيكمل البناء؟ أنت!

رئيس الحرس: لن تخلو الارض من معمارين بارعين.

الوزير: أنه أبرعهم لذلك استقدمته من بلاده.

رئيس الحرس: لدي البرهان بأنه هو المسؤول عن كل متاعبنا.

الوزير: أنت تحاول تبرير فشلك.

رئيس الحرس: إنها الحقيقة التي أعترف بها صديقه.

الوزير: ماذا؟

رئيس الحرس: قبضت عليه واعترف أمامي.

الوزير: بماذا أعترف؟

رئيس الحرس: بأنه هو المسؤول عن مقتل العمال الثلاثة لأنه كان المشرف على العمل في الجانب الشرقي من القصر.

الوزير: وهل استعملت وسائلك المعهودة في حمله على الاعتراف؟

رئيس الحرس: أبداً يا سيدي. لقد حضر هو برجليه وأقرّ بذنبه ليبرأ سيده.

الوزير: (مفكراً) ولا شك بأنه عزيز على قلب سيده.

رئيس الحرس: يعامله مثل ابن وحيد.

الوزير: وجدنا نقطة الضعف في معمارنا.

رئيس الحرس: (متعجباً) نقطة الضعف!

الوزير: ألم تفهم؟ لو عرف المعمار بأن صديقه المخلص ومعاونه مسجون في أقبيتك الرهيبة بتهمة التسبب في موت ثلاثة...ألا تعرف الشريعة؟ إنها قديمة، أقدم من هذه المدينة: إذا أنهدم بيت يُعاقب بَنّاؤه بالموت وبنفس الطريقة.

رئيس الحرس: لم أسمع بهذا من قبل! هل أنفذ به الحكم؟

الوزير: إياك أن تمسه بسوء مادامت حياته مفيدة لنا! سنستعمله للضغط على المعمار. وما دام المعمار ينفذ رغباتنا فلن ننفذ الحكم بصديقه. احضرهما أمامي وليدخل المعمار أولاً.

رئيس الحرس: حالاً يا سيدي.

الوزير (مع نفسه): سيرتفع القصر رغماً عنك يا معمار مادام الملك ووزيره يريدان ذلك. وستندم لأنك لم تسمع نصيحتي. إذا كنت بارعا في بناء القصور فأنا أدرى الناس في هذه المملكة بعقول الناس، وحتى الملك نفسه لا يستغني عن حكمتي في إدارة مملكته حتى غدا مثل هذا الخاتم في إصبعي.

(يدخل رئيس الحرس مع أنمار)
أنمار: السّلام على سيدي الوزير.
الوزير: عليك السّلام. لقد طلبتك لتشهد وتسمع بنفسك.
أنمار: التقيت برئيس الحرس عند باب القصر. جئت لألتمس مقابلتكم بشأن مساعدي نزار. إنه مسجون دون ذنب.
رئيس الحرس: هذا غير صحيح. لقد أعترف بذنبه.
الوزير: (رافعاً يده) لنسمع أولاً ما سيقوله مساعدك فاذا كان بريئاً كما تقول فأعدك بأطلاق سراحه فوراً.
(مخاطبا رئيس الحرس) هل أحضرت السجين؟
رئيس الحرس: نعم سيدي!
الوزير: هاته!
(يشير رئيس الحرس الى أحد الحراس الذي يخرج ثم يعود مع نزار).
نزار: سيدي أنمار. لقد أخبرتهم بالحقيقة.
(يصفع رئيس الحرس نزار فيقع على الأرض)
رئيس الحرس: اخرس! أنت في حضرة الوزير المُعظَّم.
(يهرع أنمار الى جانب نزار ويساعده على الوقوف)
الوزير: يا نزار لقد وعدت معلّمك بإطلاق سراحك لو تأكدت من براءتك. قل لي الحقيقة! من هو المسؤول عن تلك الحادثة المؤسفة، أعني انهيار الجدار وموت العمال الثلاثة، أنت أم سيدك؟
نزار: أنا يا سيدي. كنت مكلفا بالإشراف على الجانب الشرقي من البناء.
أنمار: أهذا هو العدل يا سيدي الوزير!
رئيس الحرس: اخرس وإلا قطعت لسانك. وهل تشكّ في عدالة سيدنا الوزير؟
الوزير: وما رأيك أنت يا أنمار؟ من المسؤول هو أم أنت؟
أنمار: لا أنا ولا هو.
الوزير: من المسؤول إذن؟ لا تقل لي بأن العمال الموتى هم الذين تسببوا في سقوط الجدار. انتحار جماعي؟
رئيس الحرس: (ساخراً) ربما هبت عليه ريح عاتية فهوى.
الوزير: ليس هذا وقت المزاح يا رئيس الحرس.
أنمار: كما قلت لك سابقا يا سيدي الوزير. المسؤول الوحيد عن الانهيارات والتأخير هو المجاعة والإرهاق.
الوزير: وكيف سنتأكد من ادعائك والعمال الثلاثة قد انتقلوا الى العالم السفليّ؟ جئتني مطالبا بالعدالة وأمامك الآن أعترف مساعدك بمسؤوليته عن ذلك. سأسأله مرة ثانية. هل تقر بأنك المسؤول يا نزار؟
نزار: نعم يا سيدي.
الوزير: وهل اعترفت تحت التعذيب.
نزار: كلا يا سيدي.
الوزير: لن ينفع الإنكار بعد الآن. لا بد من الاقتصاص من المتسبب في وفاة العمال وسأطبق الشريعة التي أنزلتها الأرباب على سكان هذه البلاد. من بنى بيتاً ثم انهدم على أهله يعاقب بنفس الطريقة. سنهدم عليه داراً فإذا مات فسيكون العقاب الالهي قد نُفِّذَ بحقه وإذا نجا سنعفو عنه.
أنمار: لا، لا يمكن! إنه بريء.
الوزير: للمرة الأخيرة ماذا تقول يا نزار هل أنت المذنب أم سيدك؟
نزار: أنا يا سيدي وألتمس عفوك ورحمة الأرباب.
الوزير: قضي الأمر.
أنمار: يا صديقي، لم ورطت نفسك! يا ليتنا لم نغادر بلادنا.
رئيس الحرس: هل تأمرني بتنفيذ الحكم الآن يا سيدي؟

الوزير: هذا يعتمد على المعمار. ما تقول يا معمار؟
أنمار: إنه ليس أكثر من مساعد لي والمسؤولية تقع علي وحدي.
نزار: كلا، أنا المسؤول.
أنمار: لن أدعهم يقتلوك!
نزار: لقد اعترفت بذنبي.
الوزير: لا بد أن يعاقب أحدكما.
أنمار: أنا، أطلقوا سراحه! أوصيك بزوجتي يا نزار.
نزار: كلا.
(يدفع نزار أحد الحراس الواقفين بينه وبين الوزير ويندفع بسرعة نحو الوزير الذي يهب واقفاً وعلى وجهه علامات الذعر).
رئيس الحرس: قف! انجدوا سيدنا الوزير!
(يلحق أحد الحراس بنزار ويطعنه بالرمح في ظهره فيسقط صريعاً)
الوزير: ماذا فعلتم؟
رئيس الحرس: كان ينوي قتلك يا سيدي؟
(يخطوا أنمار نحو المكان الذي سقط فيه نزار ويجثوا بجانبه ثم يرفع رأسه).
أنمار: ولدي، أخي نزار!
نزار: (يفتح عينيه) سيدي... لقد حانت ساعة الفراق.
أنمار: آه يا ولدي... يا ليتنا لم نرّ هذه البلدة المشؤومة. ملعونة بابل الجديدة.
نزار: شيد للملك قصراً عظيما يخلّد اسمك.
أنمار: أضحي بحياتك من أجل خلودي!
نزار: خلودك هو خلودي أيضاً.
أنمار: وموتك هو يأسي وانقضاء نهاري.
نزار: (محشرِجاً) لا تنس زوجتك!
أنمار: لو أمكنَ إرجاع الزمان الى الوراء.
نزار: إنه اختبار... أتتذكر قولك؟
أنمار: كنت مخطئاً.
نزار: كلا... أنت... على حق. المبادئ أولاً.
أنمار: حياتك أهم.
نزار: خضت التجربة وفزت.
أنمار: نعم فزت وخسرت أنا.
نزار: سيدي، حضرت الأرواح... القوة تجذبني نحو الاعماق... أعطني يدك... وداعاً.
(يميل رأس نزار جانبا ويفارق الحياة. يحتضنه أنمار بكلتا يديه ويجهش بالبكاء)
أنمار: وداعاً يا صديقي الوحيد! وداعا يا رفيق الطريق! لأنك كنت البريء الوحيد بيننا تآمرنا عليك. كلّنا مشتركون في دمك. تعالوا أيها السادة! اقتربوا وغمسوا أيديكم في دمه ولنتعاهد على قتل كلّ الابرياء حتى نخلص العالم منهم (يرفع يده ملطخة بدم نزار) آه يا دم البريء كم أنت أحمر قان.
رئيس الحرس: أنت وحدك المسؤول عن قتله.
أنمار: نعم! ألا ترى يدي ملطَّخة بدمائه؟ أنا جئت به إلى هنا. أنا سلمته بيدي الى نّصل الرمح. قل لي يا رئيس حرس الملك كيف تغسل دم البريء من على اليدين؟
رئيس الحرس: حذار أيها المعمار!
أنمار: أنا رجل حَذِر وإلا لما بقيت حياً ومات نزار. دعوني مع ولدي!

(يسحب الحرس أنمار الى الخارج)

الفصل الرابع
المشهد الأول

(في مجلس الوزير: الوزير جالس على كرسيه، ويدخل رئيس الحرس مع حارس)
رئيس الحرس: نفذت أمرك يا سيدي وأحضرت الجميع: الحداد وابنته وابن المعمار الرضيع.
الوزير: والمعمار؟
رئيس الحرس: أحضرته أيضاً، لم أدعهم يرونه كما أمرت.
الوزير: وكيف حاله؟
رئيس الحرس: لا يزال يهذي ويبكي على صديقه.
الوزير: علينا أن نعيده الى رشده.
رئيس الحرس: لم يشفه السجن ولا الضرب المبرِّح.
الوزير: ستكون آخر محاولة فاذا لم تنجح تركته لك. أدخل الحداد وزوجته أولاً!
(يشير رئيس الحرس الى حارس فيخرج ويعود برفقة الحداد وغادة ورضيعها)
الوزير: هل أنت جاحد بنعمة الملك يا حداد مثل صهرك الذي شرّفه الملك بمهمة عظيمة فعصاه وأنكر المعروف؟
الحداد: نحن عبيد الملك وعبيدك يا سيدي.
الوزير: إذن عليك أن تنفذ أوامري.
غادة: وزوجي يا سيدي ألن تخلوا سبيله؟
الوزير: لو نفذتما أوامري وعاد زوجك الى رشده وباشر عمله فسأغفر له وأنسى ما فات.
الحداد: أنت عادل وحليم يا سيدي.
الوزير: سأحضر المعمار أمامكما وعليكما أن تقنعاه بالتعقل والعودة الى عمله في بناء القصر وإلا فلن يسلم من غضب الملك. وأنت يا زوجته عليك أن تقنعيه بأنها ستكون آخر مرة يراكما فيها إذا لم ينفذ رغبة الملك.
الحداد: أمرك مطاع يا سيدي. سننفذ ما أمرتنا به.
الوزير: قفا هناك في الظلال ولا تخرجا حتى أشير لكما، والآن يا رئيس الحرس احضر المعمار!
(يشير رئيس الحرس فيخرج حارس ويعود بأنمار ويداه موثوقتان من خلفه. تدور عيناه على الوزير ورئيس الحرس ثم يقترب من المكان الذي طُعِن فيه نزار. يركع بصعوبة. يتحرك رئيس الحرس نحوه لكن الوزير يوقفه بإشارة من يده.)
أنمار: كانت هنا بركة من الدماء.
الوزير: غسلوها.
أنمار: أشعر بحرارتها على يدي.
الوزير: أما زلت حزيناً على صديقك؟
أنمار: ضحى بنفسه من أجلي.
الوزير: الحياة مثل نهر لا تتوقف.
أنمار: كان جدولاً مترعاً بالحياة والعافية. اغتاله السيل وابتعدت أنا حتى لا تبتلّ ثيابي.
الوزير: كان قدره المكتوب.
أنمار: (يدور حول نفسه) رقبتي تورمت فيها دَّين له، كيف أوفّيه؟ لمن أوفّيه؟ لمن أوفّيه؟
الوزير: لذكراه.

أنمار: وأين أجدها؟
الوزير: في قلبك؟
أنمار: وأين يسكن هذا الأخير؟
الوزير: حيث يوجد اسم صديقك وذكراه.
أنمار: وهل أسمه يأكل مثله.. كان قليل الأكل. وهل يشرب مثله؟ كان يحب الماء القَرَاح. وهل يضحك مثله؟ كان مؤدبا لا يضحك أمام سيده الوقور. وهل اسمه ينكح النساء يا سيدي الوزير؟ مات ولم يتزوج فهل نزوج اسمه؟
الوزير: أكمل القصر الذي بدأتما ببنائه سوية.
أنمار: ما حاجة الموتى للقصور... ألا تزال روحه هنا؟
الوزير: دعك من الأوهام والتخيلات. عُدْ إلى عملك وسأعفو عنك!
أنمار: عقلي مشوش. هل تسمعون؟ اسكتوا هذه الاصوات! إني متعب أعيدوني الى السجن.
الوزير: يقول الناس بأنك كنت تستمد أفكارك من مساعدك وبعد موته أصبحت غير قادر على إكمال القصر.
أنمار: كان العقل الذي أفكر به وساعدي الذي أبني به.
الوزير: إذن تعترف بعجزك!
أنمار: كان أخي الصغير، ذكي، فَطِن، ثاقب البَصِيرة. كان عيناي اللتين أرى بهما بعد أن شاخ بصري.
الوزير: الى متى ستبقى تبكي وتنوح هكذا؟
أنمار: كان أبني. لو ذبح ابنك أمامك أفلا تفقد عقلك؟
الوزير: أحزن مثل بقية الناس.
أنمار: أنت رجل شديد!
الوزير: لولا ذلك لما كنت وزير الملك.
أنمار: هل شهدت طاعوناً يا سيدي؟ البشر يتساقطون في الأزقَّة مثل الذباب. الكلاب والقطط تنهش الجثث التي لم تحرق بعد. السَّماء سَّوداء بالدخان والغربان والأرض سَّوداء بالجيف. تمر بالموت فتحس بوجوده في برودة عظامك وتشم رائحته، لكنه عندما يضرب هنا (مشيراً الى قلبه) ويترك بصماته السّوداء... هل تؤّرقكم الاصوات مثلي في الليل؟
الوزير: كف عن هذا الهذر! ألا تشتاق لرؤية زوجتك؟
أنمار: زوجتي! كان لي زوجة مسكينة عندما كنت من البشر.
الوزير: ألا ترغب برؤيتها؟
أنمار: لو تسامحني هي الأخرى.
الوزير: وماذا اقترفت بحقها؟
أنمار: وعدتها بالسَّعادة وأخلفت وعدي.
الوزير: بيدِك تستطيع تحقيق ذلك.
أنمار: قلبي تملَّكه الحزن ولم يعد فيه مكان للسَّعادة.
الوزير: عد إلى عملك وستجد فيه سعادتك وسعادة أهلك.
أنمار: إنها إنسانة طيبة وستفهم.
الوزير: أنت أنانيّ.
أنمار: أنا كلّ الصفات السيئة.
الوزير: أتبكي على صديقك أم على نفسك؟
أنمار: على الإثنين.
الوزير: ومتى ستبكي على زوجتك، عندما تفقدها هي الأخرى؟

أنمار: لم أعد أنفعها.
الوزير: إنها تحضر كلّ يوم الى باب السجن على أمل رؤيتك. أليس هذا صحيحاً يا رئيس الحرس؟
رئيس الحرس: نعم يا سيدي، تأتي كلّ يوم باكيةً متوسلة.
أنمار: أنا الجاني وهي الضحية.
الوزير: أنانيتك جنت على صديقك وزوجتك. لا تبك عليهما فأنت أولى بدموعك!
أنمار: ولماذا يهمك أمري الى هذا الحد؟
الوزير: لأن الملك غاضب ولن ينطفئ غضبه إلا إذا أكملت بناء قصره.
أنمار: ليكمله غيري، أنا متعب وهرم.
الوزير: من كان له ولد رضيع لا يوصف بالهرم.
أنمار: (محتاراً) ولد!
الوزير: رُزقتَ بابن.
أنمار: أنا!
الوزير: نعم أنت.
أنمار: ولد من صُّلبي أنا! يجب أن أفرح مثل كل الآباء. أصلي. أشعل شمعة. أحرق البخور في البيت، وأوزع الحلوى والهدايا على الأقارب والجيران فلم يهرب مني الفرح؟
الوزير: لا تظلم نفسك وأهلك يا معمار! تعقل وعد الى بيتك وزوجتك وابنك.
أنمار: وهل هذا ممكن؟
الوزير: وهل تفضل السجن؟
أنمار: حتى لو أخرجتني من سجنك فستبقى نفسي حبيسة.
الوزير: أنت تبالغ يا معمار! وستغير رأيك عندما ترى زوجتك وابنك وقد سمحت لهما بذلك (يشير بيده فتدخل غادة والحداد).
غادة: زوجي وسيدي أنمار.
أنمار: (يلتفت فيراها) غادة! أنت هنا!
غادة: جئت مع أبي لنراك... وأحضرت ولدنا.
أنمار: أهذا هو ولدي الحبيب! طلعته بهية مثلك. إنه صغير جداً!
غادة: لم يكمل شهره الثالث بعد.
أنمار: وهل سمّيته؟
غادة: لن يسمّيه أحد سواك.
الحداد: سمّه يا أنمار.
أنمار: سأسمّيه نزار.
غادة: اسم جميل.
الوزير: أحسنت التسمية يا معمار، والآن ألا تفضل الانصراف مع زوجتك وابنك إلى بيتك؟
أنمار: وهل الأمر بيدي؟
الوزير: أنت تعرف ما هو مطلوب منك. ما عليك الا أن توافق فأطلق سراحك... ما أقسى قلبك يا رجل! ألست متلهفا لحمل ابنك وضمه الى صدرك؟
أنمار: نعم ولكن يداي مقيدتان.
الوزير: وافق وسيُفَك وثاقك.
غادة: نحن بحاجة إليك يا زوجي العزيز.
الحداد: زوجتك تذبل مثل وردة في الخريف.
غادة: كيف سأربي ابننا وأنت بعيد عنا؟

أنمار: (يشيح بوجهه عنها) أنا إنسان غير نافع، لا أنفع نفسي ولا أهلي.
غادة: لا تقل هذا يا سيدي! نحن نعيش في ظلّك.
أنمار: وأنا طيف لا ظلّ له.
الحداد: وعدتني برعاية إبنتي – زوجتك. وأنت رجل شريف ولن تخلَّ بوعدك.
أنمار: حِلّني من وعدي.
الحداد: كلا! لم يعد ذلك ممكنا بعد أن أصبحت أباً.
أنمار: سأجلب لكم العار.
غادة: ونزار؟
أنمار: نزار؟ مات نزار. هنا سقط (يشير الى المكان) بضربة خنجر غادرة وكنت أقف هناك (يشير الى المكان) متفرجاً ولم أساعده.
غادة: نزار ولدنا حي.
أنمار: نزار الصغير.
غادة: سيكبر ليكون مثل نزار الكبير.
أنمار: (بحسرة) لو كان ذلك ممكناً.
غادة: أنت ربيت الأول أفلا تربي الثاني؟
أنمار: أنا ربيته، وأمامي هنا قتلوه ولم أحرك ساكناً، ولم تكن يداي مغلولتين.
غادة: كان يحبك وفدَّاك بروحه.
أنمار: ربَّيته للذبح مثل ثيران المعبد.
غادة: كنت معلّمه وأباه.
أنمار: اتركوني أتعفن في سِّجني وأموت ميتة الكلاب. ربّي ابنك فأنا لست جديراً بأن أكون أباه.
غادة: سننتظرك مهما طال الوقت.
الوزير: يكفي! لو لم يكن الملك مصرّاً على بناء قصره لأمرت بقطع رأسك الآن. لقد نفذ صّبري، ستبني القصر شئت ام أبيت. وإذا رفضت فستدفع زوجتك وابنك ثمن عصيانك.
أنمار: زوجتي وابني! وما ذنبهما؟
الوزير (محتداً): لا تجادلني! هذه آخر فرصة لكم.
أنمار: هذا ماكنت أخشاه، أين المفرُّ الآن؟
غادة: لم لا تكمل بناء القصر؟
أنمار (يقترب من غادة): أنا لست مجنوناً، سيجوع الآلاف ويموت المئات بسبب هذا القصر الملعون.
الوزير: ماذا تقول يا معمار؟
أنمار: أشاور زوجتي يا سيدي.
غادة: افعل ما تراه صحيحاً!
أنمار: ماذا أفعل؟ ماذا أفعل؟
غادة: إذا كان موتنا...
أنمار (مقاطعاً): لا تكملي! ماذا أفعل؟ هل أضحي بزوجتي وولدي أم أضحي بالناس الأبرياء. ماذا فعلت لاستحق هذا العذاب؟ كتب علي الاختيار بين جحيمين. بيدي خنجران أأضرب باليمين أم باليسار؟ أنا أحيي وأميت! مع أني لست برب أو شيطان أو ملك ولا حتى وزير!
غادة: لو أستطيع حمل بعض عذابك.
أنمار: لم أعد أتحمل المزيد. يا سيدي الوزير! لقد قررت. سأبني قصر الملك.
الوزير: وفق شروطي.
أنمار: سأنفذها حرفياً.

الوزير: سأطلق سراحك وأحذرك بانك لو خدعتني ولم تف بوعدك فلن أرحم أحداً منكم.
أنمار: سأطيعك مثل طفل ذليل.
الوزير: الآن عاد عقلك الى رأسك. يا حارس حلّ وثاقه! ابتداءً من الغد ستستأنف بناء القصر. يا رئيس الحرس، ضع حراساً على بيت المعمار ولا تدعه يغادر المدينة!
(يفك أحد الحراس وثاق أنمار ويخرج أنمار مع غادة والحداد)

الفصل الرابع
المشهد الثاني

(قاعة العرش في القصر الجديد، الملك يجلس متربعاً على عرشه حاسر الرأس)

الملك: اللعنة على جميع الكهنة. لقد كذب علي اللعين وخدعني. قال لي لو بنيت قصراً مثل حصن وحصناً مثل قصر فلن تر الكابوس بعد ذلك. انتظرت تسع سنين حتى يكتمل بناؤه وصرفت كل أموالي في سبيل ذلك لكن الكابوس عاد.

(يدخل الوزير ورئيس الكهنة ويسلّمان)

الملك: لم خدعتني يا كاهن؟

رئيس الكهنة: مولاي، اقطع لساني لو فعلت ذلك!

الملك: سأفعل ذلك بالتأكيد، قبل تسع سنوات قلت لي بأن الكابوس سيتوقف لو بنيت هذا القصر ولم يمض أسبوع على انتقالي اليه حتى عاد لي الكابوس. ماذا تقول؟

رئيس الكهنة: مولاي، لقد استخرت الأرباب وهي التي أوحت إلي بتفسير حلمك والوزير يشهد على ذلك.

الملك: ماذا تقول يا وزير؟

الوزير: أنا يا مولاي! وما أدراني بهذا الموضوع؟ تفسير الاحلام من اختصاص الكهنة.

رئيس الكهنة: سيدي الوزير سريع النِّسيان.

الملك: ماذا تقصد يا كاهن؟

الوزير: سأعترف لك يا مولاي... أخفيت عنك أمراً خطيراً.

الملك: خطير؟

رئيس الكهنة: سيدي الوزير!

الوزير: لن أخفي شيئاً عن مولاي.

الملك: ما هو هذا الأمر الخطير؟

الوزير: صدقني يا مولاي! لم أعرف به إلا قبل يومين.

الملك: أفصح يا وزير!

الوزير: إنه القصر يا مولاي.

الملك: نفذ صبري الآن.

الوزير: علمت أن الحجارة التي بني بها هذا القصر أخذت من أطلال بابل.

الملك: المدينة الملّعونة!

الوزير: نعم يا مولاي.

الملك: خدعنا المعمار! كيف حدث ذلك؟

الوزير: قال لي بأن حجارة الشمال صلبة وأفضل من الآجُرّ المصنوع في بلادنا. صدَّقته ولم أعرف بأنه كان يقتلع الحجارة من خرائب بابل وليس من جبال الشمال.

الملك (مذعوراً): لقد انتقلت اللّعنة إلى هذا القصر.

رئيس الكهنة: لقد وضعت في أساس القصر التعاويذ لطرد الأرواح الشريرة ولو عرفت بوجود هذه الحجارة في البناء...

الملك: لن أسكن في هذا القصر بعد اليوم.

رئيس الكهنة: المعمار الخائن!

الملك: أين هو؟

الوزير: أمرت رئيس الحرس بالقبض عليه. وجدوه لوحده في بيته بعد أن أوعز الى زوجته وابنه بالفرار.
الملك: كان يتوقع ذلك!
الوزير: نعم يا مولاي.
الملك: ولماذا لم يهرب معهما؟
الوزير: كنت قد وضعت عليه حرساً لمنعه من مغادرة المدينة قبل اكماله البناء.
الملك: سأعود حالاً الى قصري القديم، أيقظوا الجميع، لن أبقى ساعة أخرى في هذا القصر اللَّعين.
الوزير: ألا تنتظر الصباح يا مولاي؟
الملك: قلت الآن وفوراً. أما المعمار الخائن فحسابه غداً.
(يخرج الجميع)

الفصل الرابع
المشهد الثالث والأخير

(في قصر الملك القديم، الملك جالس على عرشه، والوزير ورئيس الكهنة واقفان جانباً. يدخل رئيس الحرس مع أنمار)

رئيس الحرس: اركع أمام مولاك.

(يركع أنمار)

الملك: لم خدعتنا يا معمار؟
أنمار: مولاي، خدمتك بإخلاص وشيدت لك أعظم قصر كما أمرتني.
الملك: أتنكر بأنك بنيت قصري بحجارة اقتلعتها من خرائب بابل؟
أنمار: لا أنكر ذلك.
الملك: (محتدا) لماذا فعلت ذلك يا خائن؟
أنمار: وما الخطأ في ذلك يا مولاي؟ إنها أفضل مادة للبناء في مملكتكم.
الملك: ألا تعرف بانها ملعونة؟
أنمار: هذه أقاويل وخرافات يتداولها العامة.
رئيس الكهنة: خرافات! أتسمي عقائدنا خرافات؟
أنمار: لو لم أفعل ذلك لحلّ الخراب بالمملكة.
الوزير: الآن يدّعي بأنه منقذ المملكة من الخراب.
الملك: قل لي كيف أنقذت مملكتي من الخراب؟
أنمار: مولاي، لو استعملت أرض رعاياك لصنع الآجُرّ لتوقفت الزراعة وهلك الكثيرون.
الملك: وأنت حريص على رعيتي.
أنمار: لا يرضى مولاي أن تبور أرضه ويجوع رعاياه.
الوزير: لقد حذرته من التدخل فيما لا يعنيه.
الملك: ألا يستحق الملك بعض التضحيات من رعاياه؟
أنمار: كلنا فداء للملك. مات الكثيرون من الذين عملوا في تشييد القصر.
الملك: ومن هو المسؤول عن موتهم؟
أنمار: الجوع والضعف. بارت أراضيهم، وكانت أجورهم قليلة.
الملك: (غاضباً) ولكن القصر ملّعون.
رئيس الكهنة: سيكون مصيره مثل قصور بابل.
الملك: أهذه نبوءة يا كاهن؟
رئيس الكهنة: انها إرادة الأرباب يا مولاي.
الملك: أسمعت ذلك يا معمار؟
أنمار: بنيت لك أعظم قصر يا مولاي.
الملك: (غاضباً) شيدته من أنقاض خرائب ملعونة.
رئيس الكهنة: وسيعود أنقاضاً.
أنمار: سيخلد اسمك يا مولاي.
الملك: بل سيجعلني هدفا لسخرية العامة.
رئيس الحرس: سأقطع لسان كلّ من يتجرأ على ذلك يا مولاي.
الملك: (يقوم من عرشه) أموالي وانتظار تسع سنين كلها ذهبت هباءً.

الوزير: جريمة لا تغتفر.
رئيس الكهنة: إهانة للأرباب.
الملك: وسمعة الملك؟
رئيس الحرس: مصونة يا مولاي.
الملك: والقصر!
رئيس الكهنة: يجب هدمه يا مولاي وإلا جلب اللّعنة على المدينة وأهلها.
الملك: والملك أيضا؟
رئيس الكهنة: لتحمي الأرباب ملكنا المعظّم.
الملك: إذا هدمته ماذا سيقول الناس عنا؟
أنمار: لم يشيد قصر مثله.
الملك: لماذا أنت ساكت يا وزير؟
الوزير: إذا كان هدم القصر ضرورياً فلن يصعب ايجاد التبرير.
الملك: ماذا سنعلن للناس؟
الوزير: سنقول بان المعمار ادعى بأنه يستطيع هدم القصر بزحزحة عمود واحد من أعمدته.
الملك: ومن سيصدّق هذا الكلام؟
الوزير: سيصدّقونه.
رئيس الكهنة: نحرقه يا مولاي. النار تطهر كل شيء.
الملك: هذا أفضل.
الوزير: نفتعل حريقاً يحيله الى أنقاض.
الملك: يا رئيس الحرس، اذهب الى القصر حالاً واحرقه.

(يخرج رئيس الحرس)

الوزير: والمعمار يا مولاي؟
الملك: سيكون مصيره مثل مصير القصر الملعون الذي بناه. غداً تقام محرقة ويرمى فيها.

(يدخل أحد الحراس في حالة اهتياج)

الحارس الأول: مولاي الناس قادمون من كل صوب.
الملك: ماذا تقول؟ أي ناس؟ هل هم أعداء؟
الحارس الأول: مولاي! إنهم رعاياك!

(يدخل حارس ثاني والدم يسيل من رأسه)

الحارس الثاني: إنهم يهاجمون القصر، عبروا النهر سباحة.
الملك: من؟ الأعداء؟
الحارس الثاني: كلا يا مولاي، إنهم رعاياك.
الحارس الأول: أهل المدينة تجمعوا أمام قصرك.
الحارس الثاني: يصرخون مطالبين بالخبز لأولادهم.
الحارس الأول: إنهم جائعون.
الحارس الثاني: يعوون مثل الذئاب.
الحارس الأول: ذئاب جائعة يا مولاي.
الملك: ذئاب!
رئيس الكهنة: ذئاب!
الوزير: ذئاب!
الملك: الكابوس يتحقق! الذئاب تهاجمني!

الوزير: أين رئيس الحرس؟
الحارس الأول: لقد فر هو وبقية القادة.
الملك: وحراسي؟
الحارس الأول: لم يبق سوى عشرة منا أو أقل.
الملك: القصر، قصري الجديد، لنحتمي في قصري الجديد. إنه قصر مثل حِصن، وحِصن مثل قصر، سيعصمني من الرعاع الذئاب.
الوزير: لقد أمرت رئيس الحرس بحرقه.
الملك: وهل أحرق القصر؟
الحارس 2: النار تلتهمه.
الملك: اللعنة.

(يتهاوى الملك على عرشه، ينهض أنمار ويتجه نحو المخرج وتسدل السِّتارة)